مجلة العلوم الإسلامية الدولية

INTERNATIONAL ISLAMIC SCIENCES JOURNAL

eISSN: 2600-7096

AN ACADEMIC QUARTERLY PEER-REVIEWED JOURNAL

مجلة علمية محكمة ، ربع سنوية

Vol : 6 Issue : 4 Year : 2022

المجلد: ٦ العدد: ٤ السنة: ٢٠٢٢

في هذا العدد:

- الكليات القرآنية ودورها في ضبط فهم النص القرآني: دراسة موضوعية
  نواف سعيد عوض المالكي
- غيض الأرحام في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية
  فاطمة خالد المبرد
- المقاصد الشرعية في عدم مراعاة الأحداث في ترتيب مطالع سور القرآن "الأنفال والحشر والممتحنة نموذجاً"
  عبدالمعين محمد الطلفاح
- اختيارات الإمام محمد بن إبراهيم الوزير في مصطلح الحديث
  محمد عبدالله جياش
- قاعدة الأصل في الأشياء الإباحة، وأثرها في الصناعة الفقهية المعاصرة
  فضل بن عبدالله مراد
- جريمة الاحتيال المالي من منظور الفقه الإسلامي والنظام السعودي "دراسة تحليلية مقارنة"
  حنان بنت يوسف أحمد الجعشاني - ياسر محمد عبدالرحمن طرشاني - إبراهيم توه يالا
- الترجيح بين المصالح المتعارضة عند الإمام ابن تيمية
  علي شافي الهاجري - عيسى ناصر السيد
- الحرب غير المشروعة في الفقه الإسلامي مقارنة بالقانون الدولي
  فاطمة صالح ظرمان
- الفحص الطِّبي قبل الزواج بين الفقه الإسلامي وقانون الأسرة القطري: دراسة مقارنة
  محمد بن علي الكعبي
- الدستور الإسلامي مفهومه ونشأته، ومصادره وخصائصه: جمعا ودراسة
  عبدالقادر عثمان عبدالسلام - نادي قبيصي سرحان
- المسابقات القرآنية وأثرها التربوي والاجتماعي
  أنور بن عمر بن موسى هوساوي
- معالم الدعوة عند الفخر الرازي في تفسيره: (مفاتيح الغيب)
  عبدالله عثمان علي المنصوري

eISSN 2600-7096

تصدرها

PUBLISHED BY

كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية

FACULTY OF ISLAMIC SCIENCES

AL-MADINAH INTERNATIONAL UNIVERSITY

eISSN: 2600-7096
V.6, Issue. 4,Dec 2022

THE FEATURES OF DA`WAH 'ISLAMIC CALL' ACCORDING TO AL-FAKHR AL-RAZI IN HIS INTERPRETATION: (THE KEYS TO THE UNSEEN)

Abdullah Othman Ali Almansori
Professor At The College Of Dawah And Fundamentals Of Religion, Umm Al-Qura University, Makkah Al-Mukarramah
E-mail: abdullah1971m@gmail.com

Abstract

Objectives of the Research: The research aims to deal with the most important features of the call for Al-Fakhr Al-Razi in his interpretation: (The keys to the unseen), as he is one of the most prominent commentators and preachers of his time. The problem of the research lies in the fact that the features of his call were not dealt with by studying and research despite the abundance of scientific material disseminated in his interpretation. Approach of the Research: The researcher has adopted the inductive and analytical approach in dealing with the features of the call to Al-Fakhr Al-Razi, including that the call to Allah is the most right, and that wisdom, good sermon, argument in the best way, gentleness, softness, and gradualism are the most important methods of call.Findings of the Research: The most important finding is that the diversity of the features of the call according to Al-Fakhr Al-Razi to include the subject, the preacher, the invitee, and the methods.Recommendations of the Research: The researcher recommends studying the features of the call of the commentators, who were famous for preaching and responding to the oppositionists.

Keywords: Features, Da'wah 'Islamic Call', Al-Fakhr Al-Razi, Keys to the Unseen

eISSN: 2600-7096
المجلد.6، العدد 4، ديسمبر 2022م

معالم الدعوة عند الفخر الرازي في تفسيره: (مفاتيح الغيب)

عبد الله عثمان علي المنصوري
الأستاذ في كلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى، مكة المكرمة

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تناول أهم معالم الدعوة عند الفخر الرازي في تفسيره: (مفاتيح الغيب)، باعتباره من أبرز أعلام المفسرين والوعاظ في عصره، وتكمن إشكالية البحث في أن معالم الدعوة عنده لم يتم تناولها بالدراسة والبحث على الرغم من وفرة المادة العلمية المبثوثة في تفسيره، وقد استعمل الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي في تناول معالم الدعوة عند الفخر الرازي، ومنها: إن الدعوة إلى الله هي أعرف المعروف، وأن الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، والرفق واللين والتدرج تعد أهم أساليب الدعوة، وقد خرج البحث بجملة من النتائج، أهمها: تنوع معالم الدعوة عند الفخر الرازي لتشمل الموضوع والداعية والمدعو والأساليب، ويوصي الباحث بدارسة معالم الدعوة عند المفسرين الذين اشتهروا بالوعظ والرد على المخالفين.

الكلمات المفتاحية: معالم، الدعوة، الفخر الرازي، مفاتيح الغيب

1. المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإن النظر في كتب التفسير المتقدمة ينمي الفهم، ويقوي الإدراك، ويزكي الشعور، ويشعرنا بقيمة الجهود التي بذلها المفسرون في خدمة كتاب الله تعالى، والدعاة اليوم بحاجة ماسة لاستطلاع وتقصي جهود علماء الأمة المتقدمين ودعاتها، ففي مؤلفات المفسرين نظرات ثاقبة وتنظيرات عالية، وفهم سليم لهدايات آيات الدعوة. ولقد تيسر لي أن أقرأ في مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، لمحمد بن عمر المعروف بالفخر الرازي متتبعاً تفسير بعض آيات الدعوة عنده فوجدت لديه نظرات ومعالم دعوية وتأصيلية ثاقبة استبانت لي بعد مقارنة ما جاء به مع غيره من المفسرين، ولست مبالغاً إن قلت إنه من القلة من المفسرين الذين عنوا بتفسير آيات الدعوة وبيان منهجيتها، ومن هنا حاولت أن أجمع أهم معالم الدعوة عنده، وإن كنت على يقين بأن هناك متسعاً ليأتي غيري بالمزيد، وحسبي أني فتحت المجال لمن يريد أن يتوسع، وقد جعلت هذا البحث تحت عنوان: (معالم الدعوة عند الفخر الرازي في تفسيره: مفاتيح الغيب)، وسوف أتناول أهم تلك المعالم بصورة مختصرة حتى لا يخرج البحث عن مساره.

إشكالية البحث:

للإمام الفخر الرازي جهود مباركة في تأصيل علم الدعوة وتحرير مسائله وقضاياه إلا أن هذه الجهود لم تبرز حتى الآن كي يستفيد منها القائمون على الشأن الدعوي والمتصدرون للدعوة، ويسعى هذا البحث لإبراز تلك الجهود، وسد الفجوة العلمية، والكشف عن معالم منهج الدعوة عند الفخر الرازي الذي وهبه الله قريحة وقادة وقدرة عالية على كشف زيف دعاوى الخصوم وبيان تهافت شبهاتهم.

أهداف البحث:

يروم هذا البحث تحقيق الأهداف الآتية:

1. بيان مفهوم معالم الدعوة.
2. عرض أهم معالم الدعوة عند الفخر الرازي.
3. توضيح سبل الاستفادة منها في الدعوة اليوم.

أهمية البحث:

يكتسب هذا البحث أهميته من كونه يتناول تفسير آيات الدعوة عند أحد أعلام الأمة الكبار الذين نافحوا عن دين الله ضد الفرق المنحرفة، إضافة إلى حاجة الدعاة والمدعوين لمعرفة منهجية أهل العلم الراسخين المتدبرين كتاب الله سبحانه وتعالى، والنهل من معين علومهم، وفيض فهومهم.

منهج البحث

سيستعمل الباحث المنهج الاستقرائي[1]، والمنهج التحليلي[2]؛ وذلك من خلال استقراء كتاب مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للفخر الرازي، واستنباط مسائل الدعوة ومعالمها.

الدراسات السابقة:

تتبعت عبر الشبكة العنكبوتية وقواعد المعلومات، وبخاصة (دار المنظومة)، فلم أظفر بأي دراسة سابقة حول هذا الموضوع.

2.المهاد النظري للبحث:

2. 1 تعريف المعالم في اللغة والاصطلاح:

المعالم في اللغة: جمع معْلَم، وهو ما جُعل علامة وعلَمًا للطرق والحدود، مثل أعلام الحرَم ومعالمه المضروبة عليه، وفي الحديث: (تكون الأرض يوم القيامة كقرص النَّقي ليس فيها معلمٌ لأحد)[3]، والمعلم أيضًا الأثر[4]، ومعلم كل شيء مظنته، والأثر يستدل به على الطريق[5]، ومعلم الطريق دلالته وكذلك معْلم الدين[6].

المعالم في الاصطلاح: لا يختلف المعنى الاصطلاحي للمعالم عن التعريف اللغوي، وعليه فيمكنني تعريفه بأنها الآثار والطرق الدالة على المنهج الدعوي الذي سلكه الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب.

---

[1] هو عملية ملاحظة الظواهر وتجميع البيانات عنها للتوصل إلى مبادئ عامة، وعلاقات كلية. انظر: المحمودي، محمد سرحان، **مناهج البحث العلمي**، ص73.

[2] هو أسلوب البحث الذي يهدف إلى تحليل المحتوى الظاهري أو المضمون الصريح للظاهرة المدروسة ووصفها وصفًا موضوعيًّا ومنهجيًّا. انظر: المرجع السابق، ص60.

[3] مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم**، كتاب صفة الجنة والنار، باب البعث والنشور، الحديث رقم (2790)، ج4، ص2150.

[4] الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، ج2، ص254.

[5] ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي، **لسان العرب**، ج12، ص416.

[6] ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، **المحكم والمحيط الأعظم**، ج2، ص177.

2. 2 الدعوة في اللغة والاصطلاح:

الدعوة في اللغة: مصدر (دعا)، يدعو دعوة ودعاء، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت، وبكلام يكون منك[1]، وقد (دعا) فهو (داعٍ)، والجمع (دُعَاة)، والدعوة: الطلب والمناداة، يقال: دعا بالشيء، أي: طلب إحضاره، ودعا إلى الشيء، أي: حثَّ على قصده، والدعوة النداء، ودعاه إلى المذهب، بمعنى: حثَّه على اعتقاده وساقه إليه[2].

الدعوة في الاصطلاح: وهي تطلق على أمرين:

الأول: الإسلام، ومن تعريفاتها: الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاءت به رسله؛ بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه[3].

عرَّف الفخر الرازي الدعوةَ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت: ٣٣]، فقال: "أما الدعوة إلى الله فقد شرحناها، وهي عبارة عن الدعوة إلى الله بإقامة الدلائل اليقينية والبراهين القطعية"[4].

والثاني: العلم الذي يهتم بنشر الدين وتبليغه للناس، وقد عرّفت بتعاريف منها: قيامُ مَن له الأهليَّةُ بدعوة الناس جميعًا لاقتفاء أثرِ الرسول ﷺ، والتَّأسِّي به قولًا وعملًا واعتقادًا، بالوسائل والأساليب المشروعة التي تتناسب مع أحوال المدعوين في كل زمان ومكان[5].

مفهوم معالم الدعوة: معالم الدعوة مركب إضافي، مكون من مضاف وهو (معالم)، ومضاف إليه وهو (الدعوة).

وتعرَّف معالم الدعوة على جهة العموم بأنها: العلامات الواضحة والآثار التي تدل على الطريق المتعلق بالإسلام والحث على الدخول فيه والالتزام بمنهجه[6].

---

[1] ابن فارس، أحمد بن فارس القزويني، **مقاييس اللغة**، ج2، ص279.

[2] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص259، الزيات، أحمد حسن، وآخرون، **المعجم الوسيط**، ج1، ص286، عمر، أحمد مختار عبد الحميد، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج1، ص748.

[3] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، **مجموع الفتاوى**، ج15، ص157- 158.

[4] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج2 7، ص564.

[5] الرحيلي، حمود، **منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام**، ج1، ص40.

[6] العتيبي، عائشة سلطان مبارك، **المعالم الدعوية في حياة الخلفاء الراشدين وأثرها في انتشار الإسلام**، ص40.

أو هي ما يستدل بها على طريقة الدعوة إلى الله تعالى من أساليب ووسائل ونحوها[1].

ويمكن تعريف معالم الدعوة في هذا البحث بأنها: المنارات التي نصبها الفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب)؛ ليستدل من خلالها على منهجه الدعوي المتعلق: الداعي والمدعو والموضوع والأساليب والوسائل. وتستشف من تفسير آيات الدعوة الصريحة والضمنية، من خلال بيانه معانيها ودلالاتها.

2. 3 نبذة مختصرة عن الفخر الرازي: هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الإمام فخر الدين الرازي القرشي البكري، من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الشافعي المفسر المتكلم. ولد سنة (544هـ)، واشتغل على والده، وشيوخه كُثر، وعلى رأسهم محيي السنة البغوي، وتوفي سنة (606هـ)[2]. كان على جانب كبير من المعرفة والفهم، وحدة الذكاء وقوة العارضة، قال عنه ابن خلكان: "فريد عصره ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة...كل كتبه ممتعة، وانتشرت تصانيفه في البلاد، ورزق فيها سعادة عظيمة... وكان له في الوعظ اليد البيضاء، ويعظ باللسانين العربي والعجمي، وكان يلحقه الوجد في حال الوعظ ويكثر البكاء، وكان يحضر مجلسه أرباب المذاهب والمقالات ويسألونه وهو يجيب كل سائل بأحسن إجابة، ورجع بسببه خلق كثير من الطائفة الكرامية وغيرهم إلى مذهب أهل السنة، وكان يلقب بهراة شيخ الإسلام"[3].

وعظمت مكانته عند علماء عصره، وعند من جاؤوا بعده، قال ابن أبي أصيبعة: "أفضل المتأخرين، وسيد الحكماء المحدثين، قد شاعت سيادته، وانتشرت في الآفاق مصنفاته وتلامذته، وكان إذا ركب يمشي حوله ثلاثمائة تلميذ... وكان الإمام فخر الدين علامة وقته في كل العلوم، وكان الخلق يأتون إليه من كل ناحية ويخطب أيضاً بالري، وكان له مجلس عظيم للتدريس، فإذا تكلم بذ القائلين"[4]، وقال عنه ابن الأثير: "الفقيه الشافعي، صاحب التصانيف المشهورة في الفقه والأصول وغيرهما، وكان إمام الدنيا في عصره"[5]، وقال السبكي: "إمام المتكلمين ذو الباع الواسع في تعليق العلوم والاجتماع بالشاسع من حقائق المنطوق والمفهوم، والارتفاع قدرًا على الرفاق..."[6]، وقال الصفدي: "كان شديد الحرص جدا في العلوم الشرعية والحكمة، اجتمع له خمسة أشياء ما جمعها الله لغيره فيما علمته من أمثاله، وهي: سعة العبارة في القدرة على الكلام، وصحة الذهن، والاطلاع الذي ما عليه مزيد،

---

[1] منياوي، محمد سامي إسماعيل، **المعالم الدعوية عند الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله**، ص341.

[2] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **طبقات المفسرين**، ص155.

[3] ابن خلكان، **وفيات الأعيان وأبناء أعيان الزمان**، ج4، ص249، 250.

[4] ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ص462، 465.

[5] ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج10، ص275.

[6] السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج8، ص81، 82.

والحافظة المستوعبة، والذاكرة التي تعينه على ما يريده في تقرير الأدلة والبراهين، وكان فيه قوة جدلية، ونظره دقيق"[1]، وله مصنفات كثيره، ومنها تفسيره مفاتيح الغيب مجال هذه الدراسة.

3.معالم الدعوة عند الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب:

عالج الفخر الرازي المعالم الأساسية للدعوة بمنهجية رصينة عند تفسيره آيات الدعوة، وبيان مضامينها، وفي هذا الحيز بيان لأهم تلك المعالم، وقد راعيت تقسيمها وترتيبها بحسب أركان الدعوة:

3. 1 المعالم الدعوية المتعلقة بمصادر الدعوة: وأهمها:

3. 1. 1القرآن الكريم هو المصدر الأول للدعوة:

ومن الآيات التي استشهد بها الفخر الرازي عند الحديث عن مصدرية القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿...مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ...﴾[الأنعام: ٣٨]، وقد رجَّح أن المراد بالكتاب في هذه الآية القرآن، فقال: "وفي المراد بالكتاب قولان؛ القول الأول: المراد منه الكتاب المحفوظ في العرش وعالم السماوات المشتمل على جميع أحوال المخلوقات على التفصيل التام... والقول الثاني: أن المراد منه القرآن، وهذا أظهر لأن الألف واللام إذا دخلا على الاسم المفرد انصرف إلى المعهود السابق، والمعهود السابق من الكتاب عند المسلمين هو القرآن، فوجب أن يكون المراد من الكتاب في هذه الآية القرآن"، ثم قال: "جميع آيات القرآن أو الكثير منها دالة بالمطابقة أو التضمن أو الالتزام على أن المقصود من إنزال هذا الكتاب بيان الدين، ومعرفة الله، ومعرفة أحكام الله، وإذا كان هذا التقييد معلومًا من كل القرآن كان المطلق هاهنا محمولًا على ذلك المقيَّد"[2].

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل: ٨٩]، وضَّح السعدي معنى كونه (تبياناً لكل شيء) فقال: "في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين وكل ما يحتاج إليه العباد، فهو مبين فيه أتم تبيين بألفاظ واضحة ومعان جلية، حتى إنه تعالى يثني فيه الأمور الكبار التي يحتاج القلب لمرورها عليه كل وقت، وإعادتها في كل ساعة، ويعيدها ويبديها بألفاظ مختلفة وأدلة متنوعة لتستقر في القلوب فتثمر من الخير والبر بحسب ثبوتها في القلب، وحتى إنه تعالى يجمع في اللفظ القليل الواضح معاني كثيرة يكون اللفظ لها كالقاعدة والأساس... فلما كان هذا القرآن تبيانا لكل شيء صار حجة الله على العباد كلهم. فانقطعت به حجة الظالمين وانتفع به المسلمون فصار هدى لهم يهتدون به إلى أمر دينهم ودنياهم، ورحمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة. فالهدى ما نالوه به من علم نافع وعمل صالح"[3].

---

[1] الصفدي، خليل بن أيبك، **الوافي بالوفيات**، ج4، ص176.

[2] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج12، ص526، 527.

[3] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص447.

وبيَّن الفخر الرازي معنى (تبيانًا لكل شيء) عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل: ٩٠]، وقد استدل بوحدة السياق، فقال: "لما قال في الآية الأولى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النحل: 89] أردفه بهذه الآية مشتملة على الأمر بهذه الثلاثة، والنهي عن هذه الثلاثة، كان ذلك تنبيهًا على أن المراد بكون القرآن تبيانًا لكل شيء هو هذه التكاليف الستة، وهي في الحقيقة كذلك"[1]. وتتجلى لنا مكانة القرآن الكريم وعدّه أساساً للدعوة من خلال تفسير الآيات التي تتحدث عن وظائف القرآن، أو ما ورد فيها من أسماء القرآن الكريم وأوصافه، ونضرب لذلك أمثلة، ومنها: قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[ق: 45]، قال الفخر الرازي: "وقوله: (بالقرآن) فيه وجوه؛ الأول: فذكر بما في القرآن واتل عليهم القرآن يحصل لهم بسبب ما فيه المنفعة. الثاني: (فذكر بالقرآن) أي: بيّن به أنك رسول لكونه معجزًا، وإذا ثبت كونك رسولًا لزمهم قبول قولك في جميع ما تقول به. الثالث: المراد (فذكر) بمقتضى ما في القرآن من الأوامر الواردة بالتبليغ والتذكير، وحينئذ يكون ذكر القرآن لانتفاع النبي ﷺ به، أي: اجعل القرآن إمامك، وذكرهم بما أخبرت فيه بأن تذكرهم، وعلى الأول معناه اتل عليهم القرآن ليتذكروا بسببه، وقوله: (فذكر) إشارة إلى أنه مرسل مأمور بالتذكير منزل عليه القرآن، حيث قال: (بالقرآن)، وقوله: (وعيد) إشارة إلى اليوم الآخر، وضمير المتكلم في قوله: (وعيد) يدل على الوحدانية، فإنه لو قال: من يخاف وعيد الله كان يذهب وهم الله إلى كل صوب فلذا قال: (وعيد)، والمتكلم أعرف المعارف، وأبعد عن الإشراك به، وقبول الاشتراك فيه"[2].

والقرآن الكريم هو الأساس المتين للتذكير، وقد سمَّاه الله موعظة فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[يونس: 57]، قال الفخر الرازي: "وهو في الحقيقة موعظة؛ لأن القائل هو الله تعالى، والآخذ جبريل، والمستملي محمد ﷺ، فكيف لا تقع به الموعظة"[3].

والقرآن الكريم هو قاعدة العلوم الشرعية، وأساس الحياة الفاضلة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا﴾[الإسراء: ٩]، قال الفخر الرازي: "فالمراد: يهدي للملة أو الشريعة أو الطريقة التي هي أقوم الملل والشرائع والطرق... فوصف القرآن بثلاثة أنواع من الصفات، الصفة الأولى: أنه يهدي للتي هي أقوم... والصفة الثانية: أنه يبشر الذين يعملون الصالحات بالأجر الكبير، وذلك لأن الصفة الأولى لما دلت على كون القرآن هاديًا إلى الاعتقاد الأصوب والعمل الأصلح، وجب أن يظهر لهذا الصواب والصلاح أثر، وذلك هو الأجر الكبير؛ لأن الطريق الأقوم لا بدَّ وأن يفيد الربح الأكبر والنفع الأعظم. والصفة

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج20، ص262.

[2] ينظر: **المرجع السابق**، ج28، ص158.

[3] ينظر: **المرجع السابق**، ج2، ص261.

الثالثة: قوله: (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما)، وذلك لأن الاعتقاد الأصوب والعمل الأصلح، كما يوجب لفاعله النفع الأكمل الأعظم، فكذلك تركه يوجب لتاركه الضرر الأعظم الأكمل"[1].

والقرآن العظيم جم المنافع، كثير الفوائد، قال الفخر الرازي معلقاً على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف: ٥٢]: "بيَّن شرف هذا الكتاب الكريم ونهاية منفعته فقال: (ولقد جئناهم بكتاب)، وهو القرآن (فصلناه) أي: ميزنا بعضه عن بعض تمييزا يهدي إلى الرشد ويؤمن عن الغلط والخبط فأما قوله: (على علم) فالمراد أن ذلك التفصيل والتمييز إنما حصل مع العلم التام بما في كل فصل من تلك الفصول من الفوائد المتكاثرة والمنافع المتزايدة"[2].

وقد استدل الفخر الرازي بالمنقول على أن الله تعالى يسَّر القرآن للذكر، وجعله هدى للناس: "أحدها: قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[محمد: 24]، أمرهم بالتدبر في القرآن، ولو كان غير مفهوم فكيف يأمرهم بالتدبر فيه. وثانيها: قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]، فكيف يأمرهم بالتدبر فيه لمعرفة نفي التناقض والاختلاف مع أنه غير مفهوم للخلق. وثالثها: قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾[الشعراء: 192- 195]، فلو لم يكن مفهوماً بطل كون الرسول ﷺ منذرًا به، وأيضًا قوله: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ يدل على أنه نازلٌ بلغة العرب، وإذا كان الأمر كذلك وجب أن يكون مفهومًا. ورابعها: قوله: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 83]، والاستنباط منه لا يمكن إلا مع الإحاطة بمعناه. وخامسها: قوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89]، وقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[الأنعام: 38]. وسادسها: قوله: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: 185]، ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: 2]، وغير المعلوم لا يكون هدى. وسابعها: قوله: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾[القمر: 5] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 57]، وكل هذه الصفات لا تحصل في غير المعلوم. وثامنها: قوله: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[المائدة: 15، 16]. وتاسعها: قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: 51]، كيف يكون الكتاب كافيا وكيف يكون ذكرى مع أنه غير مفهوم؟. وعاشرها: قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾[إبراهيم: ٥٢]، فكيف يكون بلاغًا، وكيف يقع الإنذار به مع أنه غير

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج20، ص302، 303.

[2] ينظر: **المرجع السابق**، ج14، ص253.

معلوم؟ وقال في آخر الآية: ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[إبراهيم: 52] وإنما يكون كذلك لو كان معلوماً. الحادي عشر: قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[النساء: 174] فكيف يكون برهانًا ونورًا مبينًا مع أنه غير معلوم؟. الثاني عشر: قوله: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[طه: 123، 124] فكيف يمكن اتباعه والإعراض عنه غير معلوم؟. الثالث عشر: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء: 9] فكيف يكون هاديًا مع أنه غير معلوم؟. الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[البقرة: 285] والطاعة لا تمكن إلا بعد الفهم فوجب كون القرآن مفهومًا...وأما الأخبار فقوله عليه السلام: «إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي»[1]، فكيف يمكن التمسك به وهو غير معلوم؟"[2]. كما استدل على تيسير فهم القرآن بالمعقول من وجوه: "أحدها: أنه لو ورد شيء لا سبيل إلى العلم به لكانت المخاطبة به تجري مجرى مخاطبة العربي باللغة الزنجية، ولما لم يجز ذاك فكذا هذا وثانيها: أن المقصود من الكلام الإفهام، فلو لم يكن مفهوما لكانت المخاطبة به عبثا وسفها، وأنه لا يليق بالحكيم، وثالثها: أن التحدي وقع بالقرآن وما لا يكون معلوما لا يجوز وقوع التحدي به"[3].

وبالقرآن يستنير القلب، ويستشعر عظمة الله وجلالته، قال الفخر الرازي مبيناً أثر الترتيل على المرء في قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[المزمل: ٤]، "أمره بترتيل القرآن حتى يتمكن الخاطر من التأمل في حقائق تلك الآيات ودقائقها فعند الوصول إلى ذكر الله يستشعر عظمته وجلالته وعند الوصول إلى الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف وحينئذ يستنير القلب بنور معرفة الله والإسراع في القراءة يدل على عدم الوقوف على المعاني لأن النفس تبتهج بذكر الأمور الإلهية الروحانية، ومن ابتهج بشيء أحب ذكره ومن أحب شيئا لم يمر عليه بسرعة، فظهر أن المقصود من الترتيل إنما هو حضور القلب وكمال المعرفة"[4].

3. 1. 2 النبي ﷺ هو المبين كتاب الله وسنته هي المصدر الثاني للدعوة:

النبي ﷺ أعظم داعية عرفته البشرية، وبيانه وسنته هي المصدر الثاني للدعوة، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا

---

[1] الدارقطني، علي بن أحمد، **سنن الدارقطني**، ج5، ص440، وقال الألباني: صحيح، ينظر: **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، ج1، ص533.

[2] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج2، ص250، 251.

[3] **المرجع السابق**، نفس الجزء والصفحة.

[4] **المرجع السابق**، ج30، ص683.

لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[النحل: ٦٤].

وفي القرآن الكريم تصريح بمقاصد بعثته ﷺ، قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[البقرة: 129]، وقال: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 151]، وقال: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[آل عمران: 164]، وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢]. وهذه المقاصد الأربعة هي: التلاوة، والتزكية، وتعليم الكتاب، وتعليم الحكمة (السنة)، بينها الفخر الرازي عند تفسير آية سورة البقرة فقال: "واعلم أنه لما طلب بعثة رسول منهم إليهم، ذكر لذلك الرسول صفات: أولها: قوله: (يتلوا عليهم آياتك)، ومعنى تلاوته إياها عليهم: أنه كان يذكرهم بها ويدعوهم إليها، ويحملهم على الإيمان بها. وثانيها: قوله: (ويعلمهم الكتاب)، والمراد أنه يأمرهم بتلاوة الكتاب، ويعلمهم معاني الكتاب وحقائقه، وذلك لأن التلاوة مطلوبة لوجوه؛ منها: بقاء لفظها على ألسنة أهل التواتر فيبقى مصونا عن التحريف والتصحيف، ومنها: أن يكون لفظه ونظمه معجزا لمحمد ﷺ، ومنها: أن يكون في تلاوته نوع عبادة وطاعة، ومنها: أن تكون قراءته في الصلوات وسائر العبادات نوع عبادة، فهذا حكم التلاوة إلا أن الحكمة العظمى والمقصود الأشرف تعليم ما فيه من الدلائل والأحكام، فإن الله تعالى وصف القرآن بكونه هدى ونورًا لما فيه من المعاني والحكم والأسرار، فلما ذكر الله تعالى أولا أمر التلاوة ذكر بعده تعليم حقائقه وأسراره فقال: (ويعلمهم الكتاب). الصفة الثالثة: من صفات الرسول ﷺ قوله: (والحكمة) أي: ويعلمهم الحكمة. واعلم أن الحكمة هي: الإصابة في القول والعمل[1]، واختلف المفسرون في المراد بالحكمة هاهنا على وجوه. أحدها: قال ابن وهب قلت لمالك: ما الحكمة؟ قال: معرفة الدين، والفقه فيه، والاتباع له. وثانيها: قال الشافعي رضي الله عنه: الحكمة سنة رسول الله ﷺ، وهو قول قتادة، قال أصحاب الشافعي رضي الله عنه، والدليل عليه أنه تعالى ذكر تلاوة الكتاب أولًا وتعليمه ثانيًا، ثم عطف عليه الحكمة، فوجب أن يكون المراد من الحكمة شيئًا خارجًا عن الكتاب، وليس ذلك إلا سنة الرسول عليه السلام، وثالثها: الحكمة هي الفصل بين الحق والباطل، والمعنى: يعلمهم كتابك الذي تنزله عليهم، وفصل أقضيتك وأحكامك التي تعلمه إياها... ورابعها: ويعلمهم الكتاب: أراد به الآيات المحكمة. والحكمة أراد بها الآيات المتشابهات. وخامسها: يعلمهم الكتاب، أي: يعلمهم ما فيه من الأحكام. والحكمة أراد بها أنه يعلمهم حكمة تلك الشرائع، وما فيها من وجوه المصالح والمنافع، ومن الناس من قال: الكل صفات (الكتاب) كأنه تعالى وصفه بأنه آيات، وبأنه كتاب، وبأنه حكمة. الصفة الرابعة من صفات الرسول ﷺ: قوله: (ويزكيهم)، واعلم أن كمال حال الإنسان في أمرين. أحدهما: أن يعرف الحق لذاته. والثاني: أن

[1] ينظر: ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج1، ص438.

يعرف الخير لأجل العمل به، فإن أخل بشيء من هذين الأمرين لم يكن طاهرًا عن الرذائل والنقائص، ولم يكن زكيًا عنها، فلما ذكر صفات الفضل والكمال أردفها بذكر التزكية عن الرذائل والنقائص...هذه التزكية لها تفسيران، الأول: ما يفعله سوى التلاوة وتعليم الكتاب والحكمة، حتى يكون ذلك كالسبب لطهارتهم، وتلك الأمور ما كان يفعله عليه السلام من الوعد والإيعاد، والوعظ والتذكير، وتكرير ذلك عليهم، ومن التشبث بأمور الدنيا إلى أن يؤمنوا ويصلحوا، فقد كان عليه السلام يفعل من هذا الجنس أشياء كثيرة؛ ليقوي بها دواعيهم إلى الإيمان والعمل الصالح، ولذلك مدحه تعالى بأنه على خلق عظيم، وأنه أوتي مكارم الأخلاق. الثاني: يزكيهم: يشهد لهم بأنهم أزكياء يوم القيامة إذا شهد على كل نفس بما كسبت، كتزكية المزكي الشهود، والأول أجود؛ لأنه أدخل في مشاكلة مراده بالدعاء؛ لأن مراده أن يتكامل لهذه الذرية الفوز بالجنة، وذلك لا يتم إلا بتعليم الكتاب والحكمة، ثم بالترغيب الشديد في العمل والترهيب عن الإخلال بالعمل وهو التزكية"[1]. وقد أنزل الله تعالى كتابه الكريم على محمد ﷺ للتذكرة، كما قال تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ١ – ٣]، قال الفخر الرازي: "وجه كون القرآن تذكرة أنه عليه السلام كان يعظهم به وببيانه، فيدخل تحت قوله: (لمن يخشى) الرسول ﷺ؛ لأنه في الخشية والتذكرة بالقرآن كان فوق الكل"[2].

ثم أرسل الله تعالى رسوله داعيًا إليه فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا﴾[الأحزاب: ٤٥ – ٤٧]، "وقوله: (يا أيها النبي إنا أرسلناك) إشارة إلى ما ينبغي أن يكون عليه مع عامة الخلق...وقوله: (ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا) فيه ترتيب حسن، وذلك من حيث إن النبي عليه السلام أرسل شاهدًا بقوله: (لا إله إلا الله)، ويرغّب في ذلك بالبشارة، فإن لم يكف ذلك يرهّب بالإنذار ثم لا يكتفي بقولهم لا إله إلا الله بل يدعوهم إلى سبيل الله، كما قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: 125]، وقوله: (وسراجًا منيرًا) أي: مبرهنا على ما يقول مظهرا له بأوضح الحجج، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾"[3]. وأمر الله تعالى رسوله بالبلاغ وجهاد الدعوة، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[المائدة: 67]، وقال: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[الأنعام: ١٩]، وقال: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ﴾[الرعد: ٣٦]، وقال: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الحج: ٦٧]، وقال: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾[الفرقان: 52]، والداعي بحاجة ماسة لمعرفة هدي النبي ﷺ في الدعوة ولمعرفة السنة النبوية في دعوته

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج4، ص58 – 60.

[2] **المصدر السابق**، ج22، ص7.

[3] **المصدر السابق**، ج25، ص173.

باعتبارها المصدر الثاني من مصادر الدعوة، إذ هي وحي من عند الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣ – ٤]، وهي الشارحة كتاب الله، والمخصصة عامّه، والمقيدة مطلقه، فهي واجبة الاتباع في حياة الداعي والمدعو، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[الحشر: ٧].

3. 2 المعالم الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة: وهي كثيرة، ومنها:

3. 2. 1 الدعوة إلى التوحيد هي أعرف المعروف:

قال الفخر الرازي: "وأعرف المعروفات الدين الحق والإيمان بالتوحيد والنبوة، وأنكر المنكرات: الكفر بالله، فكان الجهاد في الدين محْملا لأعظم المضار لغرض إيصال الغير إلى أعظم المنافع، وتخليصه من أعظم المضار"[1]. وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[النساء: ١١٤]، "إنه تعالى ذكر من أعمال الخير ثلاثة أنواع: الأمر بالصدقة، والأمر بالمعروف، والإصلاح بين الناس، وإنما ذكر الله هذه الأقسام الثلاثة، وذلك لأن عمل الخير إما أن يكون بإيصال المنفعة أو بدفع المضرة، أما إيصال الخير فإما أن يكون من الخيرات الجسمانية وهو إعطاء المال، وإليه الإشارة بقوله: (إلا من أمر بصدقة)، وإما أن يكون من الخيرات الروحانية، وهو عبارة عن تكميل القوة النظرية بالعلوم، أو تكميل القوة العملية بالأفعال الحسنة، ومجموعهما عبارة عن الأمر بالمعروف، وإليه الإشارة بقوله: (أو معروف)، وأما إزالة الضرر فإليها الإشارة بقوله: (أو إصلاح بين الناس) فثبت أن مجامع الخيرات مذكورة في هذه الآية"[2].

ثم بيَّن أن ذلك لا يتحقق إلا بإخلاص النية فقال معلقاً على قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾: "وهذه الآية من أقوى الدلائل على أن المطلوب من الأعمال الظاهرة رعاية أحوال القلب في إخلاص النية، وتصفية الداعية عن الالتفات إلى غرض سوى طلب رضوان الله تعالى، ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[البينة: 5]، وقوله: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: 39]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «إنما الأعمال بالنيات»[43].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص صفات أهل الإيمان، قال الفخر الرازي معقباً على قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج8، ص325.

[2] **المرجع السابق**، ج11، ص218.

[3] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، باب كيف بدأ الوحي إلى النبي ﷺ، الحديث رقم1، ج1، ص6.

[4] ينظر: الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج11، ص218.

ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة: ٧١]، "واعلم أنه تعالى لما وصف المؤمنين بكون بعضهم أولياء بعض، ذكر بعده ما يجري مجرى التفسير والشرح له فقال: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ فذكر هذه الأمور الخمسة التي بها يتميز المؤمن من المنافق، فالمنافق على ما وصفه الله تعالى في الآية المتقدمة يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، والمؤمن بالضد منه. والمنافق لا يقوم إلى الصلاة إلا مع نوع من الكسل والمؤمن بالضد منه. والمنافق يبخل بالزكاة وسائر الواجبات...والمؤمنون يؤتون الزكاة، والمنافق إذا أمره الله ورسوله بالمسارعة إلى الجهاد فإنه يتخلف بنفسه ويثبط غيره...والمؤمنون بالضد منهم"[1].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مبنيٌ على حسن الخلق والرفق، قال الفخر الرازي معلقًا على قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[الأعراف: ١٩٩]، "بيَّن في هذه الآية ما هو المنهج القويم والصراط المستقيم في معاملة الناس فقال: (خذ العفو وأمر بالعرف) ...الحقوق التي تستوفى من الناس وتؤخذ منهم إما أن يجوز إدخال المساهلة والمسامحة فيها، وإما أنْ لا يجوز. أما القسم الأول: فهو المراد بقوله: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ ﴾، ويدخل فيه ترك التشدد في كل ما يتعلق بالحقوق المالية، ويدخل فيه أيضًا التخلُّق مع الناس بالخلق الطيب، وترك الغلظة والفظاظة كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[آل عمران: 159]. ومن هذا الباب أن يدعو الخلق إلى الدين الحق بالرفق واللطف، كما قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[النحل: 125]. وأما القسم الثاني: وهو الذي لا يجوز دخول المساهلة والمسامحة فيه، فالحكم فيه أن يأمر بالمعروف بالعرف والعارفة، والمعروف هو كل أمر عرف أنه لا بد من الإتيان به، وأن وجوده خير من عدمه، وذلك لأن في هذا القسم لو اقتصر على الأخذ بالعفو ولم يأمر بالعرف ولم يكشف عن حقيقة الحال، لكان ذلك سعيًا في تغيير الدين وإبطال الحق وأنه لا يجوز، ثم إنه إذا أمر بالعرف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه، فربما أقدم بعض الجاهلين على السفاهة والإيذاء فلهذا السبب قال تعالى في آخر الآية: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾، وقال في آية أخرى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾[الفرقان: 72]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾[المؤمنون: 3] وقال في صفة أهل الجنة: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴾ [الواقعة: 25]، وإذا أحاط عقلك بهذا التقسيم، علمت أن هذه الآية مشتملة على مكارم الأخلاق فيما يتعلق بمعاملة الإنسان مع الغير"[2]. وقال القرطبي عن هذه الآية: "هذه الآية من ثلاث كلمات، تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات"[3].

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج16، ص100، 101.

[2] **المصدر السابق**، ج15، ص434، 435.

[3] القرطبي، محمد بن أحمد بن فرح، **الجامع لأحكام القرآن**، ج7، ص344.

3. 2. 2 أفضل الدعوةِ هي الدعوةُ إثبات ذات الله وصفاته:

وقد أشار الفخر الرازي إلى ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[آل عمران: ١٠٤]، فقال: "هذه الآية اشتملت على التكليف بثلاثة أشياء، أولها: الدعوة إلى الخير ثم الأمر بالمعروف، ثم النهي عن المنكر، ولأجل العطف يجب كون هذه الثلاثة متغايرة، فنقول: أما الدعوة إلى الخير فأفضلها الدعوة إلى إثبات ذات الله وصفاته، وإنما قلنا إن الدعوة إلى الخير تشتمل على ما ذكرنا لقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: 125]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾[يوسف: 108]. إذا عرفت هذا فنقول: الدعوة إلى الخير جنس تحته نوعان أحدهما: الترغيب في فعل ما ينبغي، وهو بالمعروف والثاني: الترغيب في ترك ما لا ينبغي، وهو النهي عن المنكر، فذَكَر الجنس أولا ثم أتبعه بنوعيه مبالغة في البيان"[1].

3. 2. 3 الدعوة إلى العقيدة تتم بأمور سبعة:

قال الفخر الرازي: "كمال حال الرسول البشري إنما يظهر في الدعوة إلى الله، وهذه الدعوة إنما تتم بأمور سبعة ذكرها الله تعالى في خاتمة سورة البقرة، وهي قوله: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾[البقرة: ٢٨٥] الآية، ويندرج في أحكام الرسل قوله: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ ﴾ [البقرة: 285] فهذه الأربعة متعلقة بمعرفة المبدأ، وهي معرفة الربوبية، ثم ذكر بعدها ما يتعلق بمعرفة العبودية، وهو مبني على أمرين: أحدهما: المبدأ، والثاني: الكمال. فالمبدأ هو قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ ﴾[البقرة: 285]؛ لأن هذا المعنى لا بد منه لمن يريد الذهاب إلى الله، وأما الكمال فهو التوكل على الله والالتجاء بالكلية إليه وهو قوله: ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[البقرة: ٢٨٥]، وهو قطع النظر عن الأعمال البشرية والطاعات الإنسانية والالتجاء بالكلية إلى الله تعالى وطلب الرحمة منه وطلب المغفرة، ثم إذا تمت معرفة الربوبية بسبب معرفة الأصول الأربعة المذكورة وتمت معرفة العبودية بسبب معرفة هذين الأصلين المذكورين لم يبق بعد ذلك إلا الذهاب إلى حضرة الملك الوهاب والاستعداد للذهاب إلى المعاد، وهو المراد من قوله: ﴿ وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[البقرة: ٢٨٥]، ويظهر من هذا أن المراتب ثلاثة: المبدأ والوسط، والمعاد، أما المبدأ فإنما يكمل معرفته بمعرفة أمور أربعة: وهي معرفة الله، والملائكة، والكتب، والرسل، وأما الوسط فإنما يكمل معرفته بمعرفة أمرين: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ ﴾؛ نصيب عالم الأجساد، و﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ﴾ نصيب عالم الأرواح، وأما النهاية فهي إنما تتم بأمر واحد، وهو قوله: ﴿ وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[البقرة: 285]"[2].

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج8، ص315، باختصار.

[2] **المصدر السابق**، ج1، ص225.

3. 3 المعالم الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة: وهي كثيرة، ومنها:

3. 3. 1 القرآن الكريم تضمن أعظم أساليب الدعوة إلى الله تعالى:

أفاض الفخر الرازي في شرح هذه الأساليب، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[النحل: 125]، فقال: "واعلم أنه تعالى أمر رسوله أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة، وهي الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالطريق الأحسن... ولما ذكر الله تعالى هذه الطرق الثلاثة وعطف بعضها على بعض، وجب أن تكون طرقا متغايرة متباينة، وما رأيت للمفسرين فيه كلاما ملخصًا مضبوطًا. واعلم أن الدعوة إلى المذهب والمقالة لا بد وأن تكون مبنية على حجة وبينة، والمقصود من ذكر الحجة، إما تقرير ذلك المذهب وذلك الاعتقاد في قلوب المستمعين، وإما أن يكون المقصود إلزام الخصم وإفحامه؛ أما القسم الأول: فينقسم أيضا إلى قسمين: لأن الحجة إما أن تكون حجة حقيقية يقينية قطعية مبرأة عن احتمال النقيض، وإما أنْ لا تكون كذلك، بل تكون حجة تفيد الظن الظاهر والإقناع الكامل، فظهر بهذا التقسيم انحصار الحجج في هذه الأقسام الثلاثة. أولها: الحجة القطعية المفيدة للعقائد اليقينية، وذلك هو المسمى بالحكمة، وهذه أشرف الدرجات وأعلى المقامات، وهي التي قال الله في صفتها: ﴿ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ ﴾ [البقرة: 269]. وثانيها: الأمارات الظنية والدلائل الإقناعية، وهي الموعظة الحسنة. وثالثها: الدلائل التي يكون المقصود من ذكرها إلزام الخصوم وإفحامهم، وذلك هو الجدل، ثم هذا الجدل على قسمين، القسم الأول: أن يكون دليلًا مركبًا من مقدمات مسلمة في المشهور عند الجمهور، أو من مقدمات مسلمة عند ذلك القائل، وهذا الجدل هو الجدل الواقع على الوجه الأحسن. والقسم الثاني: أن يكون ذلك الدليل مركبًا من مقدمات باطلة فاسدة إلا أن قائلها يحاول ترويجها على المستمعين بالسفاهة والشغب، والحيل الباطلة، والطرق الفاسدة، وهذا القسم لا يليق بأهل الفضل إنما اللائق بهم هو القسم الأول، وذلك هو المراد بقوله تعالى: (وجادلهم بالتي هي أحسن) فثبت بما ذكرنا انحصار الدلائل والحجج في هذه الأقسام الثلاثة المذكورة في هذه الآية...الدعوة إذا كانت بالدلائل القطعية فهي الحكمة، وإن كانت بالدلائل الظنية فهي الموعظة الحسنة، أما الجدل فليس من باب الدعوة، بل المقصود منه غرض آخر مغاير للدعوة وهو الإلزام والإفحام فلهذا السبب لم يقل: (والجدل الأحسن)، بل قطع الجدل عن باب الدعوة تنبيهًا على أنه لا يحصّل الدعوة، وإنما الغرض منه شيء آخر، والله أعلم. واعلم أن هذه المباحث تدل على أنه تعالى أدرج في هذه الآية هذه الأسرار العالية الشريفة مع أن أكثر الخلق كانوا غافلين عنها، فظهر أن هذا الكتاب الكريم لا يهتدي إلى ما فيه من الأسرار إلا من كان من خواص أولي الأبصار. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾، والمعنى: أنك مكلف بالدعوة إلى الله تعالى بهذه الطرق الثلاثة، فأما حصول

الهداية فلا يتعلق بك، فهو تعالى أعلم بالضالين وأعلم بالمهتدين"[1].

ويظهر لنا هنا تناقض الفخر الرازي في إنكار اعتبار الجدال أسلوباً من أساليب الدعوة وقد اعتمده كأسلوب في تفسير سورة البقرة حيث قال: "فنحمل الجدل المذموم على الجدل في تقرير الباطل، وطلب المال والجاه، والجدل الممدوح على الجدل في تقرير الحق، ودعوة الخلق إلى سبيل الله، والذب عن دين الله تعالى"[2].

3. 3. 2 الحكمة في الدعوة قسمان: نظرية وعملية:

بيَّن الفخر الرازي معنى الحكمة المشار إليها في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾[البقرة: ٢٦٩]، فقال: "المراد من الحكمة إما العلم وإما فعل الصواب...واعلم أن الحكمة لا يمكن خروجها عن هذين المعنيين، وذلك لأن كمال الإنسان في شيئين: أن يعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، فالمرجع بالأول: إلى العلم والإدراك المطابق، وبالثاني: إلى فعل العدل والصواب، فحكي عن إبراهيم ﷺ قوله ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا ﴾[الشعراء: 83]، وهو الحكمة النظرية ﴿ وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[الشعراء: 83] الحكمة العملية، ونادى موسى عليه السلام فقال: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾[طه: ١٤]، وهو الحكمة النظرية، ثم قال: ﴿فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾[طه: ١٤]، وهو الحكمة العملية، وقال عن عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾[مريم: 30] الآية، وكل ذلك للحكمة النظرية، ثم قال: ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[مريم: 31]، وهو الحكمة العملية، وقال في حق محمد ﷺ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[محمد: 19]، وهو الحكمة النظرية، ثم قال: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [غافر: 55]، وهو الحكمة العملية، وقال في جميع الأنبياء: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾[النحل: 2]، وهو الحكمة النظرية. ثم قال: (فاتقون)، وهو الحكمة العملية، والقرآن هو من الآية الدالة على أن كمال حال الإنسان ليس إلا في هاتين القوتين"[3].

3. 3. 3 الدعوة إلى الله تعالى مبناها على الرفق:

والرفق هو: "هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف"[4]. وهو من أهم معالم الدعوة، وقد بيَّن الفخر الرازي ذلك فقال معلقاً على قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ ﴾ [الحجرات: 9]: "قدَّم الإصلاح على القتال، وهذا يقتضي أن يبدأ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالأرفق

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج20، ص286 – 290، وقد آثرت نقل هذا الكلام – على طوله – وإن كان مخالفاً للعرف العلمي في الاقتباس؛ لأنني لم أجد من المفسرين من تكلم عن هذه الأساليب بهذا التفصيل والتوضيح، وهذا مما يحمد للفخر الرازي.

[2] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج5، ص319، 320.

[3] **المرجع السابق**، ج7، ص58، 59.

[4] ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج10، ص449.

مترقيًا إلى الأغلظ فالأغلظ"[1]. وقال معللاً النهي عن رد الاعتداء في المرحلة المكية: "فكان الصلاح استعمال الرفق واللين والمجاملة، فلما قوي الإسلام وكثر الجمع، وأقام من أقام منهم على الشرك، بعد ظهور المعجزات وتكررها عليهم حالاً بعد حال، حصل اليأس من إسلامهم، فلا جرم أمر الله تعالى بقتالهم على الإطلاق"[2]. وقال عن الرفق في دعوة المخالف: "واعلم أن المبطل إما أن يكون ضالا فقط، وإما أن يكون مع كونه ضالا يكون مضلا، والقوم كانوا موصوفين بالأمرين جميعا فبدأ تعالى بالإنكار عليهم في الصفة الأولى على سبيل الرفق واللطف"[3]. وقال مبينًا أثر الرفق في الدعوة: "الدعوة مع الرفق أكثر تأثيرًا في القلب، أما التغليظ فإنه يوجب التنفير والبعد عن القبول. ولهذا المعنى قال تعالى لمحمد عليه السلام: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[النحل: 125]"[4]. وقال: "ومن المعلوم أن من دعا غيره إلى الله تعالى فإنه يقدم الرفق على العنف واللين على الغلظ، ولا يخوض في التعنيف والتغليظ إلا بعد المدة المديدة، واليأس التام"[5].

وعلى الداعية استعمال الرفق والإغلاظ بحسب مناسبتهما لحال المدعو، فقال: "اعلم أنه تعالى تارة يرشد رسوله إلى الرفق واللطف في آيات كثيرة، منها: قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء: 107]، وقوله: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾[آل عمران: 159] وتارة يرشد إلى التغليظ والتشديد كما في هذه الآية، وذلك لأنه تعالى لما ذكر الذين ينقضون عهدهم في كل مرة، بين ما يجب أن يعاملوا به فقال: فإما تثقفنهم في الحرب"[6]. وقال: "وإذا ثبت هذا فنقول: دلت الدلائل المنفصلة على أن المجاهدة مع الكفار يجب أن تكون بالسيف، ومع المنافقين بإظهار الحجة تارة، وبترك الرفق ثانيا، وبالانتهار ثالثا"[7]. وقال: "واعلم أن الغلظة ضد الرقة، وهي الشدة في إحلال النقمة، والفائدة فيها أنها أقوى تأثيرا في الزجر والمنع عن القبيح، ثم إن الأمر في هذا الباب لا يكون مطردا، بل قد يحتاج تارة إلى الرفق واللطف وأخرى إلى العنف، ولهذا السبب قال: وليجدوا فيكم غلظة تنبيها على أنه لا يجوز الاقتصار على الغلظة البتة فإنه ينفر ويوجب تفرق القوم"[8]. وقال: "واعلم أن هذه الغلظة إنما تعتبر فيما يتصل بالدعوة إلى الدين. وذلك إما بإقامة الحجة والبينة، وإما بالقتال والجهاد"[9].

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج8، ص316، وما بعدها.

[2] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج5، ص288.

[3] **المصدر السابق**، ج8، ص307.

[4] **المصدر السابق**، ج13، ص33.

[5] **المصدر السابق**، ج13، ص39.

[6] **المصدر السابق**، ج15، ص497.

[7] **المصدر السابق**، ج16، ص103.

[8] **المصدر السابق**، ج16، ص173.

[9] **المصدر السابق**، ج16، ص174.

وقال معلقاً على قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٣]: "المراد الأمر بمتابعته في كيفية الدعوة إلى التوحيد وهو أن يدعو إليه بطريق الرفق والسهولة، وإيراد الدلائل مرة بعد أخرى بأنواع كثيرة على ما هو الطريقة المألوفة في القرآن"[1].

وقال: "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يكون على سبيل الرفق واللطف مرتبة فمرتبة، ولما قال الله لرسوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[النحل: ١٢٥] ذكر هذه المراتب، تنبيهًا على أن الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة يجب أن تكون واقعة على هذا الوجه"[2]. وقال: "اعلم أن قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[الكافرون: ١] فيه فوائد؛ أحدها: أنه عليه السلام كان مأمورا بالرفق واللين في جميع الأمور كما قال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[آل عمران: 159]، ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة: 128]، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 107] ثم كان مأمورا بأن يدعو إلى الله بالوجه الأحسن: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾"[3].

3. 3. 4 التدرج باب من أبواب الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى:

والتدرج هو: الانتقال من مرحلة دعوية إلى مرحلة أخرى متقدمة للبلوغ إلى الغاية المنشودة[4]، وهو معْلم عظيم من معالم الدعوة، وله مجالاته متعددة، ومنها التدرج في تحريم الخمر، فقال: "والحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب أن الله تعالى علم أن القوم قد كانوا ألفوا شرب الخمر، وكان انتفاعهم بذلك كثيرًا، فعلم أنه لو منعهم دفعة واحدة لشق ذلك عليهم، فلا جرم استعمل في التحريم هذا التدريج وهذا الرفق"[5]. وقال: "فلو جاءنا رسول الله بهذا الدين جملة، وبالقرآن دفعة لثقلت هذه التكاليف علينا، فما كنا ندخل في الإسلام، ولكنه دعانا إلى كلمة واحدة، فلما قبلناها وعرفنا حلاوة الإيمان، قبلنا ما وراءها كلمة بعد كلمة على سبيل الرفق إلى أن تم الدين وكملت الشريعة"[6]. وقد تدرج النبي ﷺ في الدعوة بحسب حال المدعوين، قال الفخر الرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾[النجم: ٢٩]، أي: "اترك مجادلتهم فقد بلغت وأتيت بما كان عليك...وذلك لأن النبي ﷺ كان مأمورا بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة، فلما عارضوه بأباطيلهم قيل له: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ ثم لما لم ينفع، قال له ربه: (فأعرض عنهم) ولا تقابلهم بالدليل والبرهان، فإنهم لا

---

[1] **المصدر السابق**، ج20، ص285.

[2] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج20، ص290.

[3] **المصدر السابق**، ج32، ص323.

[4] ينظر: أبو هلالة، يوسف محيي الدين، **التدرج بين التشريع والدعوة**، ص62.

[5] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج6، ص396.

[6] **المصدر السابق**، ج9، ص405.

يتبعون إلا الظن، ولا يتبعون الحق، وقابلهم بالإعراض عن المناظرة بشرط جواز المقابلة...وفي (ذكرنا) وجوه؛ الأول: القرآن، الثاني: الدليل والبرهان، الثالث: ذكر الله تعالى...فقوله: (عن من تولى عن ذكرنا) إشارة إلى إنكارهم الحشر، لأنه إذا ترك النظر في آلاء الله تعالى لا يعرفه فلا يتبع رسوله فلا ينفعه كلامه؛ وإذا لم يقل بالحشر والحساب لا يخاف فلا يرجع عما هو عليه، فلا يبقى إذن فائدة في الدعاء، واعلم أن النبي ﷺ كان طبيب القلوب، فأتى على ترتيب الأطباء، وترتيبهم أن الحال إذا أمكن إصلاحه بالغذاء لا يستعملون الدواء، وما أمكن إصلاحه بالدواء الضعيف لا يستعملون الدواء القوي، ثم إذا عجزوا عن المداواة بالمشروبات وغيرها عدلوا إلى الحديد والكي، وقيل: آخر الدواء الكي، فالنبي ﷺ أولا أمر القلوب بذكر الله فحسب فإن بذكر الله تطمئن القلوب كما أن بالغذاء تطمئن النفوس، فالذكر غذاء القلب، ولهذا قال أولًا: (قولوا لا إله إلا الله)، أمر بالذكر لمن انتفع مثل أبي بكر وغيره ممن انتفع، ومن لم ينتفع ذكر لهم الدليل، وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾[الأعراف: 184]، ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[يونس: 101]، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾[الغاشية: 17] إلى غير ذلك، ثم أتى بالوعيد والتهديد، فلما لم ينفعهم قال: (أعرض) عن المعالجة، واقطع الفاسد لئلا يفسد الصالح"[1].

3. 4 المعالم الدعوية المتعلقة بالداعية: وهي كثيرة، وأهمها:

3. 4. 1 حسن الخلق هو بضاعة الداعية:

عرَّف الفخر الرازي الخُلُق بأنه: "ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة. واعلم أن الإتيان بالأفعال الجميلة غير وسهولة الإتيان بها غير، فالحالة التي باعتبارها تحصل تلك السهولة هي الخلق"[2] .

و"قبل مجيئه ﷺ كان دين العرب أرذل الأديان وهو عبادة الأوثان، وأخلاقهم أرذل الأخلاق؛ وهو الغارة والنهب والقتل، وأكل الأطعمة الرديئة. ثم لما بعث الله محمدا ﷺ نقلهم الله ببركة مقدمه من تلك الدرجة التي هي أخس الدرجات إلى أن صاروا أفضل الأمم في العلم والزهد والعبادة وعدم الالتفات إلى الدنيا وطياتها ولا شك أن فيه أعظم المنة"[3]. ولا ريب في ذلك فقد قال الله تعالى عنه ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]، وفي سر التعبير بـ(لعلى) قال الفخر الرازي: "وكلمة (على) للاستعلاء، فدل اللفظ على أنه مستعلٍ على هذه الأخلاق، ومستولٍ عليها، وأنه بالنسبة إلى هذه الأخلاق الجميلة كالمولى بالنسبة إلى العبد، وكالأمير بالنسبة إلى المأمور"[4].

وقد تمثل رسول الله ﷺ أخلاق القرآن في دعوته، قال الفخر الرازي: "كان يدعوهم إلى الله، ويقيم الدلائل القاطعة والبينات الباهرة، بألفاظ فصيحة بلغت في الفصاحة إلى حيث عجز الأولون والآخرون عن معارضتها، وكان

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج28، ص260، 261.

[2] **المرجع السابق**، ج30، ص601.

[3] **المرجع السابق**، ج9، ص419.

[4] **المرجع السابق**، ج30، ص601.

حسن الخلق، طيب العشرة، مرضي الطريقة، نقي السيرة، مواظبًا على أعمال حسنة صار بسببها قدوة للعقلاء العالمين... وإذا ثبت هذا ظهر أن اجتهاده على الدعوة إلى الدين إنما كان لأنه نذير مبين، أرسله رب العالمين لترهيب الكافرين وترغيب المؤمنين"[1]. وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا﴾[الإسراء: ٥٤]، "أي: لا تشدد الأمر عليهم ولا تغلظ لهم في القول، والمقصود من كل هذه الكلمات: إظهار اللين والرفق لهم عند الدعوة، فإن ذلك هو الذي يؤثر في القلب، ويفيد حصول المقصود"[2]، وقال: "إن المقصود من البعثة أن يبلغ الرسول تكاليف الله إلى الخلق؛ وهذا المقصود لا يتم إلا إذا مالت قلوبهم إليه، وسكنت نفوسهم لديه. وهذا المقصود لا يتم إلا إذا كان رحيمًا كريمًا، يتجاوز عن ذنبهم ويعفو عن إساءتهم، ويخصهم بوجوه البر والمكرمة والشفقة، فلهذه الأسباب وجب أن يكون الرسول مُبَرَّأً من سوء الخلق. وكما يكون كذلك وجب أن يكون غير غليظ القلب، بل يكون كثير الميل إلى إعانة الضعفاء، كثير القيام بإعانة الفقراء، كثير التجاوز عن السيئات"[3].

ولا يكون الداعية ذا تأثير إلا إذا تجنب العجب والتكبر والخيلاء، قال الفخر الرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ﴾[لقمان: ١٨] "لما أمره بأن يكون كاملا في نفسه مكمّلًا لغيره وكان يخشى بعدهما من أمرين أحدهما: التكبر على الغير بسبب كونه مكملا له والثاني: التبختر في النفس بسبب كونه كاملا في نفسه فقال: (ولا تصعر خدك للناس) تكبرًا، (ولا تمش في الأرض مرحا) تبخترًا، (إن الله لا يحب كل مختال) يعني: من يكون به خيلاء، وهو الذي يرى الناس عظمة نفسه، وهو التكبر (فخور) يعني: من يكون مفتخرًا بنفسه، وهو الذي يرى عظمة لنفسه في عينه"[4].

ومن صفات الدعاة الإحسان، قال الفخر الرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[آل عمران: ١٣٣ – ١٣٤]، "واعلم أن الإحسان إلى الغير إما أن يكون بإيصال النفع إليه أو بدفع الضرر عنه. أما إيصال النفع إليه فهو المراد بقوله: (الذين ينفقون في السراء والضراء)، ويدخل فيه إنفاق العلم، وذلك بأن يشتغل بتعليم الجاهلين وهداية الضالين، ويدخل فيه إنفاق المال في وجوه الخيرات والعبادات وأما دفع الضرر عن الغير فهو إما في الدنيا وهو أنْ لا يشتغل بمقابلة تلك الإساءة أخرى، وهو المراد بكظم الغيظ، وإما في الآخرة وهو أن يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات في الآخرة، وهو المراد بقوله تعالى: (والعافين عن الناس). فصارت هذه الآية من هذا الوجه دالة على جميع جهات الإحسان إلى الغير، ولما كانت هذه الأمور

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج15، ص420.

[2] **المرجع السابق**، ج20، ص356.

[3] **المرجع السابق**، ج9، ص64.

[4] **المرجع السابق**، ج25، ص122.

الثلاثة مشتركة في كونها إحسانًا إلى الغير ذكر ثوابها فقال: (والله يحب المحسنين) فإن محبة الله للعبد أعم درجات الثواب"[1].

ومن أهم أخلاق الدعاة اللّين: "وهو سهولة الانقياد للحق والتلطف في معاملة الناس وعند التحدث إليهم"[2]، شريطة أنْ لا يؤدي لإهمال حقوق الله، قال الفخر الرازي: "اللين والرفق إنما يجوز إذا لم يفض إلى إهمال حق من حقوق الله، فأما إذا أدى إلى ذلك لم يجُز"[3]. وقال: "اعلم أن لينه ﷺ مع القوم عبارة عن حسن خلقه، قال تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[الشعراء: 215]، وقال: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[الأعراف: ١٩٩]، وقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[القلم: 4]، وقال: ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[التوبة: 128]"[4]. واللين مطلوب حتى مع أعتى أعداء الدعوة، قال تعالى: ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾[طه: ٤٣ – ٤٤]، قال الفخر الرازي: "فكأنه تعالى رتَّب لهما ذلك الكلام اللين الرقيق، وهذا يدل على أنه لا بدَّ في الدعوة إلى الله من اللين والرفق وترك الغلظة، ولهذا قال لمحمد ﷺ :﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾[آل عمران: 159]، ويدل على أن الذين يخاشنون الناس، ويبالغون في التعصب، كأنهم على ضد ما أمر الله به أنبياءه ورسله"[5]، و"الدعوة مع الرفق أكثر تأثيرًا في القلب، أما التغليظ فإنه يوجب التنفير والبعد عن القبول"[6]. وإنما أمر الله تعالى موسى عليه السلام باللين مع الكافر الجاحد لوجهين: "الأول: أنه عليه السلام كان قد رباه فرعون فأمره أن يخاطبه بالرفق رعاية لتلك الحقوق، وهذا تنبيه على نهاية تعظيم حق الأبوين. الثاني: أن من عادة الجبابرة إذا غلظ لهم في الوعظ أن يزدادوا عتوا وتكبرا، والمقصود من البعثة حصول النفع لا حصول زيادة الضرر، فلهذا أمر الله تعالى بالرفق"[7]. وعلى الداعي أن يترك الخشونة والسباب، قال الفخر الرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [الإسراء: ٥٣] "وقل يا محمد لعبادي إذا أردتم إيراد الحجة على المخالفين فاذكروا تلك الدلائل بالطريق الأحسن، وهو أن لا يكون ذكر الحجة مخلوطًا بالشتم والسب، ونظير هذه الآية قوله: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾[النحل: 125]، وقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[العنكبوت: 46]، وذلك لأن ذكر الحجة لو اختلط به شيء من السب والشتم لقابلوكم بمثله كما قال: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج9، ص367.

[2] مجموعة من المتخصصين، **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم**، ج8، ص3296.

[3] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج9، ص408.

[4] **المرجع السابق**، ج9، ص405.

[5] **المرجع السابق**، ج31، ص39.

[6] **المرجع السابق**، ج13، ص33.

[7] **المرجع السابق**، ج22، ص52.

﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾[الأنعام: 108]، ويزداد الغضب وتتكامل النفرة ويمتنع حصول المقصود، أما إذا وقع الاقتصار على ذكر الحجة بالطريق الأحسن الخالي عن الشتم والإيذاء أثر في القلب تأثيرًا شديدًا، فهذا هو المراد من قوله: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾، ثم إنه تعالى نبه على وجه المنفعة في هذا الطريق فقال: (إن الشيطان ينزغ بينهم) جامعًا للفريقين، أي: متى صارت الحجة مرة ممزوجة بالبذاءة صارت سببا لثوران الفتنة. واعلم أنا إنما نتكلم الآن على تقدير أن قوله تعالى: (قل لعبادي) المراد به المؤمنون، وعلى هذا التقدير فقوله: (ربكم أعلم بكم) خطاب مع المؤمنين، والمعنى: (إن يشأ يرحمكم)، والمراد بتلك الرحمة الإنجاء من كفار مكة وأذاهم أو إن يشأ يعذبكم بتسليطهم عليكم. ثم قال: (وما أرسلناك) يا محمد عليهم، (وكيلا) أي: حافظا وكفيلاً، فاشتغل أنت بالدعوة ولا شيء عليك من كفرهم فإن شاء الله هدايتهم هداهم وإلا فلا. القول الثاني: أن المراد من قوله: (وقل لعبادي) الكفار؛ وذلك لأن المقصود من هذه الآيات الدعوة، فلا يبعد في مثل هذا الموضع أن يخاطبوا بالخطاب الحسن ليصير ذلك سببًا لجذب قلوبهم وميل طباعهم إلى قبول الدين الحق، فكأنه تعالى قال: يا محمد قل لعبادي الذين أقروا بكونهم عبادا لي يقولوا التي هي أحسن؛ وذلك لأنا قبل النظر في الدلائل والبينات نعلم بالضرورة أن وصف الله تعالى بالتوحيد والبراءة عن الشركاء والأضداد أحسن من إثبات الشركاء والأضداد، ووصفه بالقدرة على الحشر والنشر بعد الموت أحسن من وصفه بالعجز عن ذلك، وعرفهم أنه لا ينبغي لهم أن يصروا على تلك المذاهب الباطلة تعصبا للأسلاف، لأن الحامل على مثل هذا التعصب هو الشيطان، والشيطان عدو، فلا ينبغي أن يلتفت إلى قوله"[1].

ولا بد للداعي من الصبر على تبعات الدعوة، قال الفخر الرازي عند تفسير قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[آل عمران: ٢٠٠]، "ختم هذه السورة بهذه الآية المشتملة على جميع الآداب، وذلك لأن أحوال الإنسان قسمان: منها ما يتعلق به وحده، ومنها ما يكون مشتركا بينه وبين غيره، أما القسم الأول فلا بد فيه من الصبر، وأما القسم الثاني فلا بد فيه من المصابرة. أما الصبر فيندرج تحته أنواع: أولها: أن يصبر على مشقة النظر والاستدلال في معرفة التوحيد والعدل والنبوة والمعاد، وعلى مشقة استنباط الجواب عن شبهات المخالفين. وثانيها: أن يصبر على مشقة أداء الواجبات والمندوبات. وثالثها: أن يصبر على مشقة الاحتراز عن المنهيات. ورابعها: الصبر على شدائد الدنيا وآفاتها من المرض والفقر والقحط والخوف، فقوله: (اصبروا) يدخل تحته هذه الأقسام، وتحت كل واحد من هذه الأقسام الثلاثة أنواع، وأما المصابرة فهي عبارة عن تحمل المكاره الواقعة بينه وبين الغير، ويدخل فيه تحمل الأخلاق الردية من أهل البيت والجيران والأقارب، ويدخل فيه ترك الانتقام ممن أساء إليك، كما قال: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[الأعراف: 199]، وقال: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾ [الفرقان: 72]، ويدخل فيه الإيثار على الغير كما قال: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج20، ص354، 355.

خَصَاصَةٌ ﴾[الحشر: 9]، ويدخل فيه العفو عمن ظلمك كما قال: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[البقرة: 237]، ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن المقدِم عليه ربما وصل إليه بسببه ضرر، ويدخل فيه الجهاد فإنه تعريض النفس للهلاك، ويدخل فيه المصابرة مع المبطلين، وحل شكوكهم والجواب عن شبههم، والاحتيال في إزالة تلك الأباطيل عن قلوبهم، فثبت أن قوله: (اصبروا) تناول كل ما تعلق به وحده، و(صابروا) تناول كل ما كان مشتركا بينه وبين غيره"[1]. والصبر على المخالف أدعى لقبول الدعوة، قال الفخر الرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[آل عمران: ١٨٦]، "وإنما أوجب الله تعالى ذلك لأنه أقرب إلى دخول المخالف في الدين"[2].

3. 4. 2 الفصاحة والبيان من لوازم الدعوة:

لا بدَّ أن يكون الداعي على جانب كبير من الفصاحة حتى تحقق دعوته غاياتها، ويصل قوله لنفوس المدعوين، قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾[النساء: ٦٣]، قال الفخر الرازي: "واعلم أنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يعاملهم بثلاثة أشياء؛ الأول: قوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ وهذا يفيد أمرين أحدهما: أنْ لا يقبل منهم ذلك العذر ولا يغتر به، فإن من لا يقبل عذر غيره ويستمر على سخطه قد يوصف بأنه معرض عنه غير ملتفت إليه. والثاني: أن هذا يجري مجرى أن يقول له: اكتف بالإعراض عنهم ولا تهتك سترهم، ولا تظهر لهم أنك عالم بكنه ما في بواطنهم، فإن من هتك ستر عدوه وأظهر له كونه عالما بما في قلبه فربما يجرئه ذلك على أنْ لا يبالي بإظهار العداوة فيزداد الشر، ولكن إذا تركه على حاله بقي في خوف ووجل فيقل الشر. النوع الثاني: قوله تعالى: (وعظهم)، والمراد أنه يزجرهم عن النفاق والمكر والكيد والحسد والكذب ويخوفهم بعقاب الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: 125]. النوع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾، وفي قوله: ﴿فِيٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ وجوه: الأول: أن في الآية تقديمًا وتأخيرًا، والتقدير: وقل لهم قولا بليغا في أنفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا. الثاني: أن يكون التقدير: وقل لهم في معنى أنفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا، وإن الله يعلم ما في قلوبكم فلا يغني عنكم إخفاؤه، فطهروا قلوبكم من النفاق وإلا أنزل الله بكم ما أنزل بالمجاهرين بالشرك أو شرا من ذلك وأغلظ. الثالث: قل لهم في أنفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم على سبيل السر، لأن النصيحة على الملأ تقريع وفي السر محض المنفعة. وفي الآية قولان: أحدهما: إن

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج9، ص473، باختصار يسير.

[2] **المرجع السابق**، ج9، ص454.

المراد بالوعظ التخويف بعقاب الآخرة، والمراد بالقول البليغ التخويف بعقاب الدنيا، وهو أن يقول لهم: إن ما في قلوبكم من النفاق والكيد معلوم عند الله، ولا فرق بينكم وبين سائر الكفار، وإنما رفع الله السيف عنكم لأنكم أظهرتم الإيمان، فإن واظبتم على هذه الأفعال القبيحة ظهر للكل بقاؤكم على الكفر، وحينئذ يلزمكم السيف. الثاني: أن القول البليغ صفة للوعظ، فأمر تعالى بالوعظ، ثم أمر أن يكون ذلك الوعظ بالقول البليغ، وهو أن يكون كلاما بليغا طويلا حسن الألفاظ حسن المعاني مشتملا على الترغيب والترهيب والإحذار والإنذار والثواب والعقاب، فإن الكلام إذا كان هكذا عظم وقعه في القلب، وإذا كان مختصرا ركيك اللفظ قليل المعنى لم يؤثر ألبتة في القلب"[1].

ولقد جاء القرآن الكريم بتأكيد الفصاحة، قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي﴾[طه: ٢٧ – 29]، فعُلِم بهذا أن سلامة النطق، وفصاحته من أسباب البلاغ وإقامة الحجة، قال الفخر الرازي: "اختلفوا في أنه عليه السلام لِمَ طلب حل تلك العقدة على وجوه: أحدها: لئلا يقع في أداء رسالته خلل ألبتة. وثانيها: لإزالة التنفير؛ لأن العقدة في اللسان قد تفضي إلى الاستخفاف بالقائل وعدم الالتفات إليه"، إلى أن قال: "ورابعها: طلب السهولة لأن إيراد مثل هذه الكلام على مثل فرعون في جبروته وكِبْره عَسِرٌ جداً، فإذا انضم إليه تَعُّقد اللسان بلغ العسر إلى النهاية، فسأل ربه إزالة تلك العقدة تخفيفاً وتسهيلاً... واعلم أن طلب الوزير إما أن يكون لأنه خاف من نفسه العجز عن القيام بذلك الأمر فطلب المعين أو لأنه رأى أن للتعاون على الدين والتظاهر عليه مع مخالصة الود وزوال التهمة مزية عظيمة في أمر الدعاء إلى الله، ولذلك قال عيسى ابن مريم: ﴿قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: 52]، وقال لمحمد ﷺ :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الأنفال: 64]".[2]

فيحسن بالداعي أن يُعوِّد نفسه على النطق الصحيح، وإن كانت في لسانه عقدة فليستعن بمن يساعده في مهمته كي يصل بدعوته إلى البلاغ المبين، وهذا ما سأل موسى عليه السلام ربه بقوله: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓ﴾[القصص: ٣٤]، "والرِّدْءُ: اسم ما يستعان به.. أي: أرسل معي أخي حتى يعاضدني على إظهار الحجة والبيان، فعند اجتماع البرهانين ربما حصل المقصود من تصديق فرعون، وليس الغرض بتصديق هارون أن يقول له صدقت أو يقول للناس: صدق موسى، وإنما هو أن يلخص بلسانه الفصيح وجوه الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل به الكفار، فهذا هو التصديق المفيد"[3]. ومن خلال ما تقدم يتبين لنا أن الفصاحة من الدعائم التي تقوم عليها الدعوات، ومن أهم الوسائل التي يتحقق بها البلاغ.

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج10، ص124.

[2] **المرجع السابق**، ج22، ص48.

[3] **المرجع السابق**، ج24، ص597، باختصار.

3. 4. 3 البصيرة والعلم بما يدعو إليه:

البصيرة في اللغة: هي المعرفة والفطنة[1]، وهي "نور القلب، وهو ما يستبصر به ويتأمل"[2]، وقد عرفها الفخر الرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٤]: "فالبصيرة اسم للإدراك التام الحاصل في القلب، قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾[القيامة: 14] أي: له من نفسه معرفة تامة، وأراد بقوله: (قد جاءكم بصائر من ربكم) الآيات المتقدمة، وهي في أنفسها ليست بصائر إلا أنها لقوتها وجلالتها توجب البصائر لمن عرفها، ووقف على حقائقها، فلما كانت هذه الآيات أسبابا لحصول البصائر سميت هذه الآيات أنفسها بالبصائر، والمقصود من هذه الآية بيان ما يتعلق بالرسول وما لا يتعلق به؛ أما القسم الأول: وهو الذي يتعلق بالرسول، فهو الدعوة إلى الدين الحق، وتبليغ الدلالة والبينات فيها، وهو أنه عليه السلام ما قصر في تبليغها وإيضاحها وإزالة الشبهات عنها، وهو المراد من قوله: (قد جاءكم بصائر من ربكم). وأما القسم الثاني: وهو الذي لا يتعلق بالرسول، فإقدامهم على الإيمان وترك الكفر، فإن هذا لا يتعلق بالرسول، بل يتعلق باختيارهم، ونفعه وضره عائد إليهم، والمعنى من أبصر الحق وآمن فلنفسه أبصر، وإياها نفع، ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي وإياها ضر بالعمى وما أنا عليكم بحفيظ أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها. إنما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم" إلى أن قال: "المراد من الإبصار هاهنا العلم، ومن العمى الجهل، ونظيره قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[الحج: 46]"[3]. وقال: "والهدى علم وبصر، والعلم والبصر سبب لحصول الرشد والفوز بالنجاة...البصيرة لا بد فيها من أمرين: من سلامة حاسة العقل، ومن طلوع نور الوحي والتنزيل"[4] .وسمَّى الله تعالى القرآن بصائر، فقال: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾[الأعراف: ٢٠٣]، و"ولما كان القرآن سببًا لبصائر العقول في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد، أطلق عليه لفظ البصيرة، تسمية للسبب باسم المسبب"[5].

فعلى الداعية أن يكون على بصيرة وحجة وبرهان، عملاً بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾[يوسف: 108]، أي: "قل يا محمد لهم هذه الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها سبيلي وسنتي ومنهاجي، وسمَّي الدين سبيلًا؛ لأنه الطريق الذي يؤدي إلى الثواب، ومثله قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾[النحل: 125]. واعلم أن السبيل في أصل اللغة الطريق، وشبهوا المعتقدات بها لما أن الإنسان يمر عليها إلى الجنة ادعو الله على بصيرة وحجة وبرهان: (أنا ومن

---

[1] ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات، **جامع الأصول**، ج4، ص128.

[2] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج1، ص53.

[3] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج13، ص104، 105.

[4] **المصدر السابق**، ج13، ص133.

[5] **المصدر السابق**، ج15، ص439.

اتبعني) إلى سيرتي وطريقتي وسيرة أتباعي الدعوة إلى الله، لأن كل من ذكر الحجة وأجاب عن الشبهة فقد دعا بمقدار وسعه إلى الله، وهذا يدل على أن الدعاء إلى الله تعالى إنما يحسن ويجوز مع هذا الشرط وهو أن يكون على بصيرة مما يقول وعلى هدى ويقين، فإن لم يكن كذلك فهو محض الغرور"[1]. وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، "دلت الآية على أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانيًا، فمن اشتغل بالتعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع سعيه وخاب عمله وكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء مونقة بمنظرها ولا منفعة بثمرها ولهذا، قال عليه الصلاة والسلام: «نعوذ بالله من علم لا ينفع وقلب لا يخشع»"[2] [3].

3. 4. 4 الدعاة إلى الله تعالى مراتب:

بيَّن الفخر الرازي مراتب الدعوة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت: ٣٣]، فقال: "من الناس من قال المراد من قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ هو الرسول ﷺ، ومنهم من قال: هم المؤذنون، ولكن الحق المقطوع به أن كل من دعا إلى الله بطريق من الطرق فهو داخل فيه، والدعوة إلى الله مراتب، فالمرتبة الأولى: دعوة الأنبياء عليهم السلام راجحة على دعوة غيرهم من وجوه؛ أحدها: أنهم جمعوا بين الدعوة بالحجة أولا، ثم الدعوة بالسيف ثانيًا، وقلما اتفق لغيرهم الجمع بين هذين الطريقين. وثانيها: أنهم هم المبتدئون بهذه الدعوة، وأما العلماء فإنهم يبنون دعوتهم على دعوة الأنبياء، والشارع في إحداث الأمر الشريف على طريق الابتداء أفضل. وثالثها: أن نفوسهم أقوى قوة، وأرواحهم أصفى جوهرًا، فكانت تأثيراتها في إحياء القلوب الميتة وإشراق الأرواح الكدرة أكمل، فكانت دعوتهم أفضل. ورابعها: أن النفوس على ثلاثة أقسام: ناقصة وكاملة لا تقوى على تكميل الناقصين، وكاملة تقوى على تكميل الناقصين فالقسم الأول: العوام والقسم الثاني: هم الأولياء والقسم الثالث: هم الأنبياء...وإذا عرفت هذا فنقول: إن نفوس الأنبياء حصلت لها مزيتان: الكمال في الذات، والتكميل للغير، فكانت قوتهم على الدعوة أقوى، وكانت درجاتهم أفضل وأكمل، إذا عرفت هذا فنقول: الأنبياء عليهم السلام لهم صفتان: العلم والقدرة، أما العلماء، فهم نواب الأنبياء في العلم، وأما الملوك، فهم نواب الأنبياء في القدرة، والعلم يوجب الاستيلاء على الأرواح، والقدرة توجب الاستيلاء على الأجساد، فالعلماء خلفاء الأنبياء في عالم الأرواح، والملوك خلفاء الأنبياء في عالم الأجساد. وإذا عرفت هذا ظهر أن أكمل الدرجات في الدعوة إلى الله بعد الأنبياء درجة العلماء، ثم العلماء على ثلاثة أقسام: العلماء بالله، والعلماء بصفات الله، والعلماء بأحكام الله. أما العلماء بالله، فهم الحكماء الذين قال الله تعالى في حقهم: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج18، ص520.

[2] الشيباني، أحمد بن حنبل، **المسند**، ج11، ص117، وقال الألباني: صحيح، ينظر: النسائي، زهير بن حرب، **كتاب العلم**، ص37.

[3] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج8، ص272.

مَن يَشَآءُ ﴾[البقرة: 269]، وأما العلماء بصفات الله تعالى فهم أصحاب الأصول، وأما العلماء بأحكام الله فهم الفقهاء، ولكل واحد من هذه المقامات ثلاث درجات لا نهاية لها، فلهذا السبب كان للدعوة إلى الله درجات لا نهاية لها، وأما الملوك فهم أيضا يدعون إلى دين الله بالسيف، وذلك بوجهين إما بتحصيله عند عدمه مثل المحاربة مع الكفار، وإما بإبقائه عند وجوده وذلك مثل قولنا المرتد يقتل، وأما المؤذنون فهم يدخلون في هذا الباب دخولًا ضعيفًا، أما دخولهم فيه فلأن ذكر كلمات الأذان دعوة إلى الصلاة، فكان ذلك داخلا تحت الدعاء إلى الله، وأما كون هذه المرتبة ضعيفة فلأن الظاهر من حال المؤذن أنه لا يحيط بمعاني تلك الكلمات، وبتقدير أن يكون محيطا بها إلا أنه لا يريد بذكرها تلك المعاني الشريفة، فهذا هو الكلام في مراتب الدعوة إلى الله"[1]، وحاصل كلامه أن الدعاة مراتب: الأنبياء، ويليهم العلماء، والعلماء ثلاثة أقسام: العلماء بالله، والعلماء بصفات الله، والعلماء بأحكام الله ، ويليهم المؤذنون.

3. 4. 5 الابتلاء سنة من سنن الله في الدعاة:

الابتلاء سنة عامة في الدعاة وفي "جميع الخلق امتحن بعضهم ببعض؛ فامتحن الرسل بالمرسل إليهم، ودعوتهم إلى الحق، والصبر على أذاهم، وتحمل المشاق في تبليغهم رسالات ربهم، وامتحن المرسل إليهم بالرسل، وهل يطيعونهم وينصرونهم ويصدقونهم أم يكفرون بهم ويردون عليهم ويقاتلونهم؟، وامتحن العلماء بالجهال، هل يعلمونهم وينصحونهم ويصبرون على تعليمهم ونصحهم وإرشادهم؟"[2].

وقال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٥]، قال الفخر الرازي: "وأما الحكمة في تقدم تعريف هذا الابتلاء ففيها وجوه. أحدها: ليوطنوا أنفسهم على الصبر عليها إذا وردت، فيكون ذلك أبعد لهم عن الجزع، وأسهل عليهم بعد الورود. وثانيها: أنهم إذا علموا أنه ستصل إليهم تلك المحن، اشتد خرقهم، فيصير ذلك الخوف تعجيلا للابتلاء، فيستحقون به مزيد الثواب. وثالثها: أن الكفار إذا شاهدوا محمدًا وأصحابه مقيمين على دينهم مستقرين عليه مع ما كانوا عليه من نهاية الضر والمحنة والجوع، يعلمون أن القوم إنما اختاروا هذا الدين لقطعهم بصحته، فيدعوهم ذلك إلى مزيد التأمل في دلائله، ومن المعلوم الظاهر أن التبع إذا عرفوا أن المتبوع في أعظم المحن بسبب المذهب الذي ينصره، ثم رأوه مع ذلك مصرا على ذلك المذهب كان ذلك أدعى لهم إلى اتباعه مما إذا رأوه مرفه الحال لا كلفة عليه في ذلك المذهب. ورابعها: أنه تعالى أخبر بوقوع ذلك الابتلاء قبل وقوعه، فوجد مخبر ذلك الخبر على ما أخبر عنه فكان ذلك إخبارًا عن الغيب فكان معجزًا. وخامسها: أن من المنافقين من أظهر متابعة الرسول طمعًا منه في المال وسعة الرزق، فإذا اختبره تعالى بنزول هذه المحن فعند ذلك يتميز المنافق عن الموافق لأن المنافق إذا سمع ذلك نفر منه وترك دينه فكان في هذا

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج27، ص563.

[2] ابن قيم الجوزية **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، ج2، ص160، 161.

الاختبار هذه الفائدة. وسادسها: أن إخلاص الإنسان حالة البلاء ورجوعه إلى باب الله تعالى أكثر من إخلاصه حال إقبال الدنيا عليه، فكانت الحكمة في هذا الابتلاء ذلك"[1]. وإن صبر الدعاة على الابتلاء دليل راسخ على صلاحية الدعوة؛ وأنها جديرة بالاتباع. وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[لقمان: ١٧]: "إذا كمُلت أنت في نفسك بعبادة الله فكمِّل غيرك، فإن شغل الأنبياء وورثتهم من العلماء هو أن يكملوا في أنفسهم ويكمِّلوا غيرهم، ثم قال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ ﴾ يعني: أن من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يؤذى فأمره بالصبر عليه"[2].

3. 4. 6 ترك أحد الواجبين لا يلزمه ترك الآخر:

اختلف العلماء في هل للفاسق أن يأمر بالمعروف وأن ينهى عن المنكر؟ قال بالفخر الرازي: "منهم من تمسك بهذه الآية في أن الفاسق ليس له أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قال: لأن هذه الآية تدل على أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من المفلحين، والفاسق ليس من المفلحين، فوجب أن يكون الآمر بالمعروف ليس بفاسق، وأجيب عنه بأن هذا ورد على سبيل الغالب فإن الظاهر أن من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر لم يشرع فيه إلا بعد صلاح أحوال نفسه، لأن العاقل يقدم مهم نفسه على مهم الغير، ثم إنهم أكدوا هذا بقوله تعالى: ﴿ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[البقرة: 44]، وبقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف: 2، 3]؛ ولأنه لو جاز ذلك لجاز لمن يزني بامرأة أن يأمرها بالمعروف في أنها لم كشفت وجهها؟ ومعلوم أن ذلك في غاية القبح. والعلماء قالوا: الفاسق له أن يأمر بالمعروف؛ لأنه وجب عليه ترك ذلك المنكر ووجب عليه النهي عن ذلك المنكر، فبأن ترك أحد الواجبين لا يلزمه ترك الواجب الآخر، وعن السلف: (مروا بالخير وإن لم تفعلوا)، وعن الحسن أنه سمع مطرف بن عبد الله يقول: لا أقول ما لا أفعل، فقال: وأينا يفعل ما يقول؟ ود الشيطان لو ظفر بهذه الكلمة منكم فلا يأمر أحد بمعروف ولا ينهى عن المنكر"، ثم ساق غيرها من الدلائل[3].

3. 5 المعالم الدعوية المتعلقة ببعض مسائل الدعوة والمدعو، وهي كثيرة، ومنها:

3. 5. 1 الدعوة إلى الله تعالى فرض كفاية:

ناقش الفخر الرازي هذا المعلم انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[آل عمران: ١٠٤]، فقال: "أمرهم بالسعي في إلقاء الغير في الإيمان

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج4، ص129.

[2] **المرجع السابق**، ج25، ص121.

[3] **المصدر السابق**، ج8، ص316، وما بعدها.

والطاعة، فقال: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير)، وهذا هو الترتيب الحسن الموافق للعقل...في قوله: (منكم) قولان؛ أحدهما: أن (مِن) هاهنا ليست للتبعيض؛ لدليلين: الأول: أن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[آل عمران: 110]. والثاني: هو أنه لا مكلف إلا ويجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إما بيده، أو بلسانه، أو بقلبه، ويجب على كل أحد دفع الضرر عن النفس إذا ثبت هذا فنقول: معنى هذه الآية كونوا أمة دعاة إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، وأما كلمة (من) فهي هنا للتبيين لا للتبعيض، كقوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: 30]...ثم قالوا: إن ذلك وإن كان واجبا على الكل إلا أنه متى قام به قوم سقط التكليف عن الباقين، ونظيره قوله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[التوبة: 41]، وقوله: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[التوبة: 39] فالأمر عام، ثم إذا قامت به طائفة وقعت الكفاية وزال التكليف عن الباقين[1]. والقول الثاني: أن (من) هاهنا للتبعيض، والقائلون بهذا القول اختلفوا أيضاً على قولين: أحدهما: أن فائدة كلمة (مِن) هي أن في القوم مَن لا يقدر على الدعوة ولا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل: النساء والمرضى والعاجزين. والثاني: أن هذا التكليف مختص بالعلماء ويدل عليه وجهان الأول: أن هذه الآية مشتملة على الأمر بثلاثة أشياء: الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومعلوم أن الدعوة إلى الخير مشروطة بالعلم بالخير وبالمعروف وبالمنكر، فإن الجاهل ربما عاد إلى الباطل وأمر بالمنكر ونهى عن المعروف، وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر، وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة، وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تماديا، فثبت أن هذا التكليف متوجه على العلماء، ولا شك أنهم بعض الأمة، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[التوبة: 122]. والثاني: أنا أجمعنا على أن ذلك واجب على سبيل الكفاية بمعنى أنه متى قام به البعض سقط عن الباقين، وإذا كان كذلك كان المعنى: ليقم بذلك بعضكم، فكان في الحقيقة هذا إيجابا على البعض لا على الكل، والله أعلم. وفيه قول رابع: وهو قول الضحاك: إن المراد من هذه الآية أصحاب رسول الله ﷺ لأنهم كانوا يتعلمون من الرسول عليه السلام ويعلمون الناس، والتأويل على هذا الوجه كونوا أمة مجتمعين على حفظ سنن الرسول ﷺ وتعلم الدين"[2].

وفي موضع آخر يرى الفخر الرازي وجوب الدعوة، فقال إن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ

---

[1] لمزيد بيان حول حكم الدعوة ينظر، القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج4، ص165.

[2] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج8، ص314، 315.

وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[فصلت: ٣٣]، "يدل على أن الدعوة إلى الله أحسن من كل ما سواها، إذا عرفت هذا فنقول: كل ما كان أحسن الأعمال وجب أن يكون واجبًا، لأن كل ما لا يكون واجبا فالواجب أحسن منه، فثبت أن كل ما كان أحسن الأعمال فهو واجب، إذا عرفت هذا فنقول الدعوة إلى الله أحسن الأعمال بمقتضى هذه الآية، وكل ما كان أحسن الأعمال فهو واجب، ثم ينتج أن الدعوة إلى الله واجبة"[1].

3. 5. 2 الدعوة إلى الله تعالى هي أكمل الطاعات وأحسن الأعمال:

قال الفخر الرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت: 26]، "ثم إنه سبحانه وتعالى بين أن القوم وإن أتوا بهذه الكلمات الفاسدة إلا أنه يجب عليك تتابع المواظبة على التبليغ والدعوة، فإن الدعوة إلى الدين الحق أكمل الطاعات ورأس العبادات، وعبر عن هذا المعنى فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣]، فهذا وجه شريف حسن في نظم آيات هذه السورة. وفيه وجه آخر: وهو أن مراتب السعادات اثنان: التام، وفوق التام، أما التام: فهو أن يكتسب من الصفات الفاضلة ما لأجلها يصير كاملا في ذاته، فإذا فرغ من هذه الدرجة اشتغل بعدها بتكميل الناقصين وهو فوق التام، إذا عرفت هذا فنقول إن قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[فصلت: 30] إشارة إلى المرتبة الأولى، وهي اكتساب الأحوال التي تفيد كمال النفس في جوهرها، فإذا حصل الفراغ من هذه المرتبة وجب الانتقال إلى المرتبة الثانية وهي الاشتغال بتكميل الناقصين، وذلك إنما يكون بدعوة الخلق إلى الدين الحق، وهو المراد من قوله : (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله)، فهذا أيضًا وجه حسن في نظم هذه الآيات"، ثم قال: "الآية تدل على أن أحسن الأقوال قول من جمع بين خصال ثلاثة، أولها: الدعوة إلى الله، وثانيها: العمل الصالح، وثالثها: أن يكون من المسلمين... وأما قوله: (وعمل صالحا) فاعلم أن العمل الصالح إما أن يكون عمل القلوب وهو المعرفة، أو عمل الجوارح وهو سائر الطاعات. وأما قوله: (وقال إنني من المسلمين) فهو أن ينضم إلى عمل القلب وعمل الجوارح الإقرار باللسان، فيكون هذا الرجل موصوفا بخصال أربعة أحدها: الإقرار باللسان، والثاني: الأعمال الصالحة بالجوارح، والثالث: الاعتقاد الحق بالقلب، والرابع: الاشتغال بإقامة الحجة على دين الله. ولا شك أن الموصوف بهذه الخصال الأربعة أشرف الناس وأفضلهم، وكمال الدرجة في هذه المراتب الأربعة ليس إلا لمحمد ﷺ"[2]. وقال: "الدعوة إلى الله من أعظم الدرجات"[3].

---

[1] **المصدر السابق**، ج27، ص563.

[2] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج27، ص562 – 564.

[3] **المرجع السابق**، ج27، ص564.

3. 5. 3 دعوة الناس بالحجة والبرهان والقول الحسن:

لا بدَّ للداعية من العلم بما يدعو إليه، وأن يلفت نظر المدعوين إلى الدلائل والشواهد الموصلة إلى معرفة الله تعالى، وهذا من الأسس المنهجية للدعوة، وتحصيل ذلك من الواجبات، وقد استدل الفخر الرازي على ذلك بعدد من الأدلة، أحدها: قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾، قال: "ولا شك أن المراد بقوله: (بالحكمة) أي: بالبرهان والحجة، فكانت الدعوة بالحجة والبرهان إلى الله تعالى مأمورا بها، وقوله: (وجادلهم بالتي هي أحسن) ليس المراد منه المجادلة في فروع الشرع؛ لأن من أنكر نبوته فلا فائدة في الخوض معه في تفاريع الشرع، ومن أثبت نبوته فإنه لا يخالفه، فعلمنا أن هذا الجدال كان في التوحيد والنبوة، فكان الجدال فيه مأمورًا به ثم إنا مأمورون باتباعه عليه السلام لقوله: ﴿ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾[آل عمران: 31]، ولقوله: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾[الأحزاب: 21]، فوجب كوننا مأمورين بذلك الجدال. وثانيها: قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ [الحج: 3، 8، لقمان: 20]، ذم من يجادل في الله بغير علم وذلك يقتضي أن المجادل بالعلم لا يكون مذموما بل يكون ممدوحًا، وأيضا حكى الله تعالى ذلك عن نوح في قوله: ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا ﴾[هود: 32]، وثالثها: أن الله تعالى أمر بالنظر فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾[النساء: 82]، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴾ [الغاشية: 17]، ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ ﴾[فصلت: 53]، ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَا ﴾[الرعد: 41]، ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[يونس: 101]، ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[الأعراف: ١٨٥]، ورابعها: أن الله تعالى ذكر التفكر في معرض المدح فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[الزمر: 21]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾[آل عمران: 13]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾[طه: 54، 128]، وأيضًا ذم المعرضين فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴾[يوسف: 105]، ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف: 179]، وخامسها: أنه تعالى ذم التقليد، فقال حكاية عن الكفار: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ [الزخرف: 23]، وقال: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ [لقمان: 21] وقال: ﴿ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾[الشعراء: 74]، وقال: ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَا ﴾ [الفرقان: 42]، وقال عن والد إبراهيم عليه السلام: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴾[مريم: 46]. وكل ذلك يدل على وجوب النظر والاستدلال والتفكر وذم التقليد فمن دعا إلى النظر والاستدلال، كان على وفق القرآن ودين الأنبياء ومن دعا إلى التقليد كان على خلاف القرآن وعلى وفاق دين الكفار"[1].

---

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج2، ص326، 327.

3. 5. 4 مراعاة أحوال المخاطبين بالدعوة:

ومن منهجية الدعوة مراعاة أحوال المخاطبين عند الدعوة، قال الفخر الرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾[البقرة: ٨٣] اختلفوا في أن المخاطَب بقوله: (وقولوا للناس حسنا) من هو؟ فيحتمل أن يقال: إنه تعالى أخذ الميثاق عليهم أن لا يعبدوا إلا الله وعلى أن يقولوا للناس حسنا، ويحتمل أن يقال: إنه تعالى أخذ الميثاق عليهم أن لا يعبدوا إلا الله ثم قال لموسى وأمته: قولوا للناس حسناً. والكل ممكن بحسب اللفظ وإن كان الأول أقرب حتى تكون القصة قصة واحدة مشتملة على محاسن العادات ومكارم الأخلاق من كل الوجوه... منهم من قال: إنما يجب القول الحسن مع المؤمنين، أما مع الكفار والفساق فلا، والدليل عليه وجهان، الأول: أنه يجب لعنهم وذمهم والمحاربة معهم، فكيف يمكن أن يكون القول معهم حسنا، والثاني: قوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾[النساء: 148] فأباح الجهر. والثاني: أن يقع بحسب المخاطب وهو أن يكون المراد قولوا للناس حسنا في الدعاء إلى الله تعالى وفي الأمر المعروف، فعلى الوجه الأول: يتطرق التخصيص إلى المخاطب دون الخطاب، وعلى الثاني: يتطرق إلى الخطاب دون المخاطب، وزعم أبو جعفر محمد بن علي الباقر أن هذا العموم باق على ظاهره وأنه لا حاجة إلى التخصيص، وهذا هو الأقوى، والدليل عليه أن موسى وهارون مع جلال منصبهما أمرا بالرفق واللين مع فرعون، وكذلك محمد ﷺ مأمور بالرفق وترك الغلظة وكذلك قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾[النحل: 125]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾[الأنعام: 108]، وقوله: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾[الفرقان: 72]، وقوله: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]... وكلام الناس مع الناس إما أن يكون في الأمور الدينية أو في الأمور الدنيوية، فإن كان في الأمور الدينية فإما أن يكون في الدعوة إلى الإيمان وهو مع الكفار أو في الدعوة إلى الطاعة وهو مع الفاسق، أما الدعوة إلى الإيمان فلا بد وأن تكون بالقول الحسن كما قال تعالى لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[طه: 44] أمرهما الله تعالى بالرفق مع فرعون مع جلالتهما ونهاية كفر فرعون وتمرده وعتوه على الله تعالى، وقال لمحمد ﷺ: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾[آل عمران: 159] الآية. وأما دعوة الفساق فالقول الحسن فيه معتبر، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾[النحل: 125]، وقال: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[فصلت: 34]، وأما في الأمور الدنيوية فمن المعلوم بالضرورة أنه إذا أمكن التوصل إلى الغرض بالتلطف من القول لم يحسن سواه، فثبت أن جميع آداب الدين والدنيا داخلة تحت قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾[1].

[1] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**، ج3، ص588، 589.

3. 5. 5 بيان مراتب المدعوّين:

بيَّن الفخر الرازي مراتب المدعوين عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[النحل: 125]، وكشف أن هذه الأساليب الثلاثة تستعمل بحسب مرتبة وحاله في تقبل الدعوة ونوعه، فقال: "فظهر بهذا التقسيم انحصار الحجج في هذه الأقسام الثلاثة. أولها: الحجة القطعية المفيدة للعقائد اليقينية، وذلك هو المسمى بالحكمة، وهذه أشرف الدرجات وأعلى المقامات، وهي التي قال الله في صفتها: ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ ﴾[البقرة: 269]. وثانيها: الأمارات الظنية والدلائل الإقناعية، وهي الموعظة الحسنة. وثالثها: الدلائل التي يكون المقصود من ذكرها إلزام الخصوم وإفحامهم، وذلك هو الجدل... إذا عرفت هذا فنقول: أهل العلم ثلاث طوائف: الكاملون الطالبون للمعارف الحقيقية والعلوم اليقينية، والمكالمة مع هؤلاء لا تمكن إلا بالدلائل القطعية اليقينية وهي الحكمة، والقسم الثاني: الذي تغلب على طباعهم المشاغبة والمخاصمة لا طلب المعرفة الحقيقية والعلوم اليقينية، والمكالمة اللائقة بهؤلاء المجادلة التي تفيد الإفحام والإلزام، وهذان القسمان هما الطرفان. فالأول: هو طرف الكمال، والثاني: طرف النقصان. وأما القسم الثالث: فهو الواسطة، وهم الذين ما بلغوا في الكمال إلى حد الحكماء المحققين، وفي النقصان والرذالة إلى حد المشاغبين المخاصمين، بل هم أقوام بقوا على الفطرة الأصلية والسلامة الخلقية، وما بلغوا إلى درجة الاستعداد لفهم الدلائل اليقينية والمعارف الحكمية، والمكالمة مع هؤلاء لا تمكن إلا بالموعظة الحسنة، وأدناها المجادلة، وأعلى مراتب الخلائق الحكماء المحققون، وأوسطهم عامة الخلق وهم أرباب السلامة، وفيهم الكثرة والغلبة، وأدنى المراتب الذين جبلوا على طبيعة المنازعة والمخاصمة، فقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ معناه: ادع الأقوياء الكاملين إلى الدين الحق بالحكمة، وهي البراهين القطعية اليقينية وعوام الخلق بالموعظة الحسنة، وهي الدلائل اليقينية الإقناعية الظنية، والتكلم مع المشاغبين بالجدل على الطريق الأحسن الأكمل"[1].

[1] **المصدر السابق**، ج20، ص286 – 290.

الخاتمة:

بعد هذه السياحة العلمية في كتاب مفاتيح الغيب للفخر الرازي، يطيب لي أن أسجل ما يأتي:

النتائج:

1 – كان تناول الفخر الرازي لقضايا الدعوة كان نابعاً من كونه داعية وواعظاً.

2 – تفرد الفخر الرازي من بين العلماء المتقدمين في بيان مفهوم الدعوة فقال: "وهي عبارة عن الدعوة إلى الله بإقامة الدلائل اليقينية والبراهين القطعية".

3 – أولى الفخر الرازي أصول الدعوة – القرآن والسنة – عناية فائقة فهما مصدر الدعوة ومادتها.

4 – للفخر الرازي تفرد في شرح أساليب الدعوة الواردة في سورة النحل.

5 – ركز الفخر الرازي على خُلق اللين والرفق وناقشه عند تفسير كثير من الآيات؛ باعتباره من أهم أخلاق الداعية التي لها أثرها الكبير في المدعوين.

6– التدرج عند الفخر الرازي يعد في قائمة الأساليب الدعوية مع الموافق والمخالف.

7– سبْق الفخر الرازي في الحديث عن مراتب الدعوة والدعاة والمدعوين.

التوصيات:

يوصي الباحث بالآتي:

1. الدراسة المقارنة لمعالم الدعوة عند الفخر الرازي مع معاصريه من مفسري القرن السادس
2. دراسة منهج المفسرين في دعوة المخالفين ورد شبهاتهم.

REFERENCES (المصادر والمراجع)

[1] al-Azharī, Abū Manṣūr Muḥammad ibn Aḥmad, Tahdhīb al-lughah, (Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, Bayrūt, Ṭ1, 2001M)

[2] al-Ifrīqī, Muḥammad ibn Mukarram ibn manẓūr, Lisān al-'Arab, (Dār Ṣādir, Bayrūt, ṭ3, 1414h).

[3] al-Albānī, Muḥammad Nāṣir al-Dīn, Ṣaḥīḥ al-Jāmi' al-Ṣaghīr wa-ziyāyadatuhu, (al-Maktab al-Islāmī, Bayrūt, D. t).

[4] al-Bukhārī, Abū 'Abd Allāh Muḥammad ibn Ismā'īl, Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, taḥqīq : Jamā'at min al-'ulamā', Dār Ṭawq al-najāh, bi-'ināyat : Muḥammad Zuhayr al-Nāṣir, Ṭ1, 1422h).

[5] al-Barmakī, Shams al-Dīn Muḥammad ibn Aḥmad ibn Ibrāhīm Ibn Khallikān, wafayāt al-a'yān wa-abnā' a'yān al-Zamān, taḥqīq : Iḥsān 'Abbās, Dār Ṣādir, Bayrūt, Ṭ1, 1971m).

[6] al-Jazarī, Abū al-Ḥasan 'Alī ibn Muḥammad al-Shaybānī Ibn al-Athīr, al-kāmil fī al-tārīkh, (Dār al-Kitāb al-'Arabī, Bayrūt, Ṭ1, 1417h)

[7] al-Jazarī, Majd al-Dīn Abū al-Sa'ādāt al-Mubārak ibn Muḥammad al-Shaybānī Ibn al-Athīr, Jāmi' al-uṣūl fī aḥādīth al-Rasūl, taḥqīq : 'Abd al-Qādir al-Arnā'ūṭ, Bashīr 'Uyūn, (Maktabat al-Ḥalawānī, Maktabat al-Mallāḥ, Maktabat Dār al-Bayān, Ṭ1, D. t).

[8] al-Ḥarrānī, Taqī al-Dīn Aḥmad ibn 'Abd al-Ḥalīm Ibn Taymīyah, Majmū' al-Fatāwá, taḥqīq : 'Abd al-Raḥmān ibn Muḥammad ibn Qāsim, (Majma' al-Malik Fahd li-Ṭibā'at al-Muṣḥaf al-Sharīf, al-Madīnah al-Munawwarah, 1416h).

[9] al-Khazrajī, Aḥmad ibn Qāsim ibn Khalīfah Ibn Abī Uṣaybi'ah, 'Uyūn al-Anbā' fī Ṭabaqāt al-aṭibbā', taḥqīq : Nizār Riḍā, (Dār Maktabat al-ḥayāh, Bayrūt, D. t).

[10] al-Dāraquṭnī, 'Alī ibn 'Umar ibn Aḥmad, Sunan al-Dāraquṭnī, taḥqīq : Shu'ayb al-Arnā'ūṭ, wa-ākharīn, Ṭ1, 1442h).

[11] al-Ruḥaylī, Ḥammūd ibn Aḥmad ibn Faraj, Manhaj al-Qur'ān al-Karīm fī Da'wat al-mushrikīn ilá al-Islām, ('Imādat al-Baḥth al-'Ilmī bi-al-Jāmi'ah al-Islāmīyah, al-Madīnah al-Munawwarah, Ṭ1, 1424h).

[12] al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn 'Umar, Jār Allāh, al-Kashshāf 'an ḥaqā'iq ghawāmiḍ al-tanzīl wa-'uyūn al-aqāwīl fī Wujūh al-ta'wīl, (Dār al-Kitāb al-'Arabī, Bayrūt, ṭ3, 1407h).

[13] al-Subkī, Tāj al-Dīn 'Abd al-Wahhāb ibn Taqī al-Dīn, Ṭabaqāt al-Shāfi'īyah al-Kubrá, taḥqīq : Maḥmūd al-Ṭanāḥī, 'Abd al-Fattāḥ al-Ḥulw, (Hajar lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī', ṭ2, 1413h).

[14] al-Sa'dī, 'Abd al-Raḥmān ibn Nāṣir, Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān, taḥqīq : 'Abd al-Raḥmān ibn Mu'allā al-Luwayḥiq, (Mu'assasat al-Risālah, Bayrūt, Ṭ1, 1420h).

[15] al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn 'Abd al-Raḥmān ibn Abī Bakr, Ṭabaqāt al-mufassirīn, taḥqīq : 'Alī Muḥammad 'Umar, (Maktabat Wahbah, al-Qāhirah, Ṭ1, 1396h).

[16] al-Shaybānī, Aḥmad ibn Ḥanbal, al-Musnad, taḥqīq : Shuʻayb al-Arnāʾūṭ, wa-ākharīn, (Muʾassasat al-Risālah, Bayrūt, Ṭ1, 1421h).

[17] al-Ṣafadī, Khalīl ibn Aybak, al-Wāfī bi-al-Wafayāt, taḥqīq : Aḥmad al-Arnāʾūṭ, Turkī Muṣṭafá, Dār Iḥyāʾ al-Turāth, 1420h).

[18] al-ʻUtaybī, ʻĀʾishah Sulṭān Mubārak, al-Maʻālim al-daʻawīyah fī ḥayāt al-khulafāʾ al-Rāshidīn wa-atharuhā fī intishār al-Islām, (Risālat mājistīr, al-Jāmiʻah al-Urdunīyah, Kullīyat al-Dirāsāt al-ʻUlyā, ʻmmān, 1416h).

[19] al-ʻAsqalānī, Aḥmad ibn ʻAlī ibn Ḥajar, Fatḥ al-Bārī sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, taḥqīq : Maḥmūd Shaʻbān wa-ākharīn, Maktabat al-Ghurabāʾ al-Atharīyah, al-Madīnah al-Munawwarah, Ṭ1, 1417h).

[20] ʻUmar, Aḥmad Mukhtār ʻAbd al-Ḥamīd, Muʻjam al-lughah al-ʻArabīyah al-muʻāṣirah, bi-musāʻadat farīq ʻamal, (ʻĀlam al-Kutub, al-Kuwayt, Ṭ1, H).

[21] al-Fakhr al-Rāzī, Muḥammad ibn ʻUmar, Mafātīḥ al-ghayb aw al-tafsīr al-kabīr, (Durr Iḥyāʾ al-Turāth, ṭ3, 1420h).

[22] al-Qazwīnī, Aḥmad ibn Fāris, Maqāyīs al-lughah, taḥqīq : ʻAbd al-Salām Hārūn, (Dār al-Fikr, Bayrūt, 1979m).

[23] al-Qushayrī, Abū al-Ḥusayn Muslim ibn al-Ḥajjāj, Ṣaḥīḥ Muslim, taḥqīq : Muḥammad Fuʾād ʻAbd al-Bāqī, (ʻĪsá al-Bābī al-Ḥalabī wa-Shurakāh, al-Qāhirah, 1955m).

[24] majmūʻah min al-mutakhaṣṣiṣīn, Naḍrat al-Naʻīm fī Makārim Akhlāq al-Rasūl al-Karīm, ishrāf : Ṣāliḥ ibn Ḥamīd, wa-ʻAbd al-Raḥmān ibn Mallūḥ, Dār al-wasīlah lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ.

[25] al-Maḥmūdī, Muḥammad Sarḥān ʻAlī Qāsim, Manāhij al-Baḥth al-ʻIlmī, Dār al-Kutub, Ṣanʻāʾ, ṭ3, 1441h).

[26] al-Mursī, Abū al-Ḥasan ʻAlī ibn Ismāʻīl ibn sydh, al-Muḥkam wa-al-Muḥīṭ al-Aʻẓam, taḥqīq : ʻAbd al-Ḥamīd Hindāwī, (Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Bayrūt, Ṭ1, 1421h).

[27] Muṣṭafá, Ibrāhīm, wa-ākharūn, al-Muʻjam al-Wasīṭ, (Dār al-Daʻwah, 1969m).

[28] Minyāwī, Muḥammad Sāmī Ismāʻīl, al-Maʻālim al-daʻawīyah ʻinda al-Shaykh Jamāl al-Dīn al-Qāsimī raḥimahu Allāh, (Jāmiʻat Tikrīt, Kullīyat al-Ādāb, Majallat ādāb al-Farāhīdī, Majj 14, ʻA 50, 2022m).

[29] al-nisāʾī, Abū Khaythamah Zuhayr ibn Ḥarb, al-ʻIlm, taḥqīq : Muḥammad Nāṣir al-Dīn al-Albānī, (al-Maktab al-Islāmī, Bayrūt, ṭ3, 1403h).

[30] Abū Hilālah, Yūsuf Muḥyī al-Dīn, al-Tadarruj bayna al-tashrīʻ wa-al-Daʻwah, (Majallat Buḥūth wa-dirāsāt fī al-Daʻwah wa-al-Iʻlām, Jāmiʻat al-Imām Muḥammad ibn Saʻūd al-Islāmīyah, al-ʻadad 1, 1413h).